مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040, ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 299–350 تاريخ النشر: 2018/12/13

المنهج النبوي في ترقية المرأة

The prophet 's approach to the advancement of women

د. رحيمة بن حمو
rahimabenhamou@yahoo.fr
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تاريخ الإرسال: 2017/02/12 **تاريخ القبول:2018/08/28**

الملخص:

تراهن الحضارات المتنافسة اليوم على ورقة ترقية المرأة، وكما يمثل الاهتمام بهذا الموضوع أحد المنطلقات الأساسية في التنمية الاجتماعية، فإنه يعد في الوقت ذاته مفتاح الغزو الفكري ضمن الصراع الحضاري الراهن، لذلك فإن موضوع المرأة في مجتمعاتنا الإسلامية يعد اليوم ثغرا ينبغي الرباط عليه لتحصين المجتمع من المخاطر التي تهدده، وإعداد المرأة، لتكون عنصرا مؤثرا في الحياة العامة والخاصة، على أن يتبع المنهج النبوي السليم في تربيتها وتثقيفها وتنمية مواهبها ومهاراتها في كافة الميادين. في هذا السياق، تأتي هذه المحاولة الاستقرائية لاستجلاء معالم منهجه صلى الله عليه وسلم في ترقية المرأة، بتحديد الأسس التي اعتمد عليها، وأهم الخطوات التي انتهجها، وبيان أهم مظاهر إشراكها في مشروعه الدعوي، ومن ثم الكشف عن نتاج هذا المنهج عبر بعض النماذج النسوية البارزة.

الكلمات المفتاحية: المرأة؛ النبي صلى الله عليه وسلم؛ ترقية؛ المساواة؛ الإبداع، المشاركة؛ الدعوة؛ التربية، التعليم، الكرامة الإنسانية

Abstract:

The competing civilizations bet today on « the woman's promotion » card. As this subject represents one of the basics in social development, it is considered also the key to cultural invasion. Hence, our Islamic communities need to prepare the woman as an influencing subject in both personal and public lives. That is by following the Prophet's (PBUH) path in

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040, ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 299–350 تاريخ النشر: 2018/12/13

educating and developing its talents in all domains. So comes this inductive essay to clarify his method in promoting women, by determining the basics and aspects of involving them in his call to Islam, and then showing the results in the example of some prominent women.

Key words:

Women, Prophet (PBUH), promotion, advancement, equality, creativity, participation, call to Islam, Education, human dignity.

مقدمة:

لم يزل احتقار المرأة واستضعافها ديدن الشعوب المختلفة على مر العصور، ولم تكن الأنثى تحظى بالعناية والرعاية في التربية والتنشئة بما يحظى به الذكور، إلا استثناءات يسيرة هذبتها الرسالات السماوية، ثم ما تلبث أن ترجع إلى سابق عهدها مع إيغال وتفنن في الاستعباد الذي كثيرا ما يصاحبه تسويغ بغطاء ديني مزيف يضفي عليه صبغة شرعية في هذا الدين أو ذاك.

ورغم ما وصلت إليه المرأة من مكانة وما حظيت به من حقوق في عصرنا، فإن تلك العصور لا تزال تلقي بظلالها على كثير من مجتمعاتنا الإسلامية المعاصرة، ولا تزال المرأة دون المستوى المطلوب في المشاركة والتأثير في صنع الحاضر والمستقبل، وهي الآن أشد ما تكون حاجة إلى ترقيتها وتنمية مهاراتها لتسهم في بناء الصرح الحضاري المنشود لهذه الأمة. وتعد المرأة المسلمة في عصر الرسالة وما بعدها نموذجا يحتذى في سبيل تحقيق هذه الغاية، لأنها تربت على يد النبي صلى الله عليه وسلم؛ فهو الذي أحدث ذلك التغيير الكبير في حياتها بعد أن كانت لا تعد شيئا في المجتمع الجاهلي.

لقد أنشأ النبي صلى الله عليه وسلم الرعيل الأول الذي على سواعده نهضت الحضارة الإسلامية الكبرى، وأحيى طاقات كامنة في أناس لم يكن ليظهر لهم شأن في هذا

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040, ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 299–350 تاريخ النشر: 2018/12/13

الوجود لولاه، وقد كان للنساء نصيب وافر من هذه الحركة التغييرية التي قام بها، وكل ذلك كان وفق منهج واضح وخطة محكمة.

ومنهج النبي صلى الله عليه وسلم في ترقية المرأة جزء لا يتجزأ من منهجه الشامل في تحرير طاقات الإنسان ودفعه إلى الإبداع والعمل الإيجابي لتعمير الأرض بالخير الذي يعم نفعه على الإنسانية جميعا، وربما كان لاهتمامه بالمرأة بعض الخصائص التي تختلف عن المعاملة العامة التي تشمل الرجال والنساء جميعا، سنحاول من خلال هذه الورقة المتواضعة أن نضع أنامل الفحص على بعض جوانب العناية النبوية بترقية المرأة وتنمية مهاراتها النفسية والجسدية والفكرية... وغايتنا الكشف عن المنهج الذي اتبعه صلى الله عليه وسلم في تغيير المرأة وتحرير طاقاتها الإبداعية لتتحول من مخلوق ضعيف، إلى عنصر فاعل ومؤثر في صناعة المجتمع الجديد. وذلك من خلال استخراج خطوات عملية وعناصر موضوعية تبرز لنا طريقته في التعامل مع المرأة وتوجيهها، وقد توخينا الاقتصار على استنباط المعاني واستقائها باستقراء الوقائع والأحداث التاريخية والمواقف التي صدرت عن النبي صلى الله عليه وسلم، والمواقف التي سجلتها بعض الصحابيات اللواتي تربين على يديه، ويعتبرن نماذج حية لهذه التربية، دون تنزيل هذه المعاني على واقعنا المعاصر، إلا بما يقتضيه المقام؛ من تصحيح بعض الفهوم الخاطئة للسنة النبوية أو التصورات العقيمة عن شخص النبي صلى الله عليه وسلم، لأن البحث لا يتسع لذلك، وربما وفق الله تعالى إلى بحث آخر، مستقبلا، نعمل فيه هذه المعاني والمبادئ لتقويم واقعنا المعاصر على ضوء المنهج النبوي.

فنتناول الموضوع في ثلاثة مباحث: يعتني الأول ببيان معالم خطة النبي صلى الله عليه وسلم في تحرير المرأة من التمييز والاستعباد، ويتضمن الثاني مظاهر عناية النبي صلى الله عليه وسلم بالمرأة وإشراكها في مشروع الدعوة الإسلامية، أما المبحث الثالث فيعرض بعض النماذج من النساء المتميزات والمبدعات في السيرة النبوية ومظاهر إبداعهن، لنخلص إلى خاتمة تحمل خلاصة النتائج المتوصل إليها.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040, ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 299–350 تاريخ النشر: 2018/12/13

المبحث الأول: تحرير المرأة من التمييز والاستعباد

كان من بين مشروعاته صلى الله عليه وسلم الكبرى بعد دحض الشرك وإرساء التوحيد، نصرة المستضعفين في هذه الدنيا وإنقاذهم من الظلم والقهر، ومن هؤلاء المستضعفين المرأة، التي كانت محرومة من كل الحقوق، حتى حقها في الحياة، (**وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ**)[1] فقام صلى الله عليه وسلم بمحاربة مظاهر استعبادها وتقرير مبدأ مساواتها مع الرجل في كل ما يتعلق بمضمون الإنسانية، وإذا وجدت بعض الفروق بينهما في الأحكام، فهو في فروع تفصيلية، راجعة إلى طبيعة كل منهما واستعداداته. وإذ نذكر هنا بعض المبادئ التي عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرص على تثبيتها، والخطوات التي اتبعها في التعامل مع المرأة، فإنما نفعل ذلك على سبيل التمثيل والتقريب؛ فلا ندعي الاستقصاء.

أولا: تقرير مبدأ الأصل الواحد:

يعد هذا المبدأ من أبرز المبادئ التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم ففرق بها بين الحق والباطل، ورغبت المستضعفين في هذا الدين الجديد، فلا غرو أن يكون هؤلاء هم أكثر أتباعه ومادته الأولى، قال الله تعالى: {**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**}[2]. فاعتمد النبي صلى الله عليه وسلم ذلك في سيرته مع المؤمنين به، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**يا أبا أمامة، ما أنا وأمة سفعاء الخدين، سفعاء المعصمين، آمنت بربها، وتحننت على ولدها إلا كهاتين** – وفرق بين السبابة والوسطى

[1]– سورة التكوير، الآيتان 8–9

[2]– سورة الحجرات الآية 13.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040, ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 299–350 تاريخ النشر: 2018/12/13

– والله أذهب فخر الجاهلية وتكبرها بآبائها، كلكم لآدم وحواء كطف الصاع بالصاع، وإن أكرمكم عند الله أتقاكم، فمن أتاكم ترضون دينه وأمانته فزوجوه"[1].

عن جابر بن عبد الله قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في وسط أيام التشريق خطبة الوداع، فقال: "**يا أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ألا هل بلغت؟** "، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: "**فليبلغ الشاهد الغائب**"[2].

ولذلك فهمت النساء المسلمات هذا الخطاب، واعتبرن أنفسهن معنيات بكل خطاب شرعي جاء على العموم من غير تخصيص للرجال به، ونهضن في خدمة الدعوة وجهدن فيها بما جهد الرجال، يصور لنا ذلك حديث أم سلمة رضي الله عنها لما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم ينادي على المنبر: (**أيها الناس**...) فهرعت إليه، فلما قيل لها في ذلك قالت: "إني من الناس"[3]. فـ"الأصل في ذلك أن كل ما يجب للذكور وجب للإناث،

[1]– رواه البيهقي وقال في سنده: "سلم بن سالم البلخي غير قوي، وقد رواه عن رجل مجهول"، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت458هـ)، شعب الإيمان، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد، الرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، 1423هـ، 2003م، 132/7، رقم 4773.

[2]– رواه البيهقي وقال: "في هذا الإسناد بعض من يجهل"، شعب الإيمان، المرجع السابق، 132/7، رقم 4774.

[3]– رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا وصفاته. ونص الحديث عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت: "كنت أسمع الناس يذكرون الحوض ولم أسمع ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان يوما من ذلك والجارية تمشطني فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (أيها الناس). فقلت للجارية استأخري عني، قالت إنما دعا الرجال ولم يدع النساء. فقلت إني من الناس. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إني لكم فرط على الحوض فإياي، لا يأتين

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040, ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 299–350 تاريخ النشر: 2018/12/13

وما يجوز لهم جاز لهن ولا فرق، كما يشير إلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "إنما النساء شقائق الرجال"، رواه الدارمي وغيره، فلا يجوز التفريق إلا بنص يدل عليه"[1].

ثانيا: تفعيل مبدأ المساواة على مستوى التشريع

تعد سيادة العدل والمساواة على مستوى القانون والتشريع الذي يحكم الأمم أهم أسباب رقيها وتطورها، في حين ينخر الجور والتمييز بين أفراد المجتمع وطبقاته المختلفة في بنيته إلى أن ينهار كليا، بسبب تضييع شرائح مهمة في بنائه وإهمال طاقاتها التي كان ينبغي أن تدعم هذا البناء. ولعل العدل الذي جاء به الإسلام وانتهجه النبي صلى الله عليه وسلم في حياته ومعاملته للناس هو السر في نهضة أمة كانت على هامش التاريخ، فاتقدت بالإبداع والتميز في كافة مظاهر حياتها حتى غدت منقذة البشرية من غياهب الظلم والعبودية لغير الله تعالى. وكان من أبرز مظاهر تحرير المرأة، بل القاعدة الأساس في إحيائها، إزالة المعوقات التشريعية (الحقوقية) التي جعلت من المرأة مخلوقا من الدرجة الثانية، بل مجرد متاع في يد من يملك أمرها، لا يرجى منها إقدام ولا إدبار.

تقرر مبدأ المساواة وحرية المرأة ضمن المنظومة العامة للقيم الإسلامية، التي لا ترى الحرية والمساواة إلا في سياق مفهوم العدل الشامل باعتباره القيمة العليا في هذه المنظومة، حيث يقرر الحق إلى جانب الواجب، وقد ثبت ذلك بالقرآن الكريم في نصوص كثيرة كما جاء في السنة ما يؤكدها أو يفسرها أو يفصلها، فلا تختلف المرأة عن الرجل أمام القانون الإلهي وفي المسؤولية والجزاء في الدنيا والآخرة، لقوله تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ

أحدكم فيذب عني كما يذب البعير الضال فأقول فيم هذا فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول سحقا".

[1]– محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف، الرياض، 1415هـ، 1995م، 347/1.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040, ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 299–350 تاريخ النشر: 2018/12/13

أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[1]. وقوله عز وجل: {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ}[2]. وقد ظهر ذلك على مستويين:

1– المساواة في المسؤولية الشخصية

جاءت النصوص الشرعية متضافرة على أن كلا من الرجل والمرأة مسؤول أمام الله تعالى عن نفسه وعما قدم من عمل في هذه الدنيا، وأنه محاسب عليه في الدنيا والآخرة؛ أما من القرآن، فقوله عز وجل: {لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا. وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا}[3].

أما من السنة، فعن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: "لما نزلت {وأنذر عشيرتك الأقربين} قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا فقال: (**يا فاطمة بنت محمد، يا صفية بنت عبد المطلب، يا بني عبد المطلب، لا أملك لكم من الله شيئا، سلوني من مالي ما شئتم**)[4].

2– المساواة في المسؤولية العامة

تشترك المرأة في مسؤولية الأمة العامة، فهي مأمورة بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالقدر الذي تقدر عليه وبحسب استطاعتها، وهذه قاعدة عامة في الناس جميعا رجالا ونساء لأن الله تعالى لا يكلف نفسا إلا وسعها.

---

[1]– سورة النحل، الآية 97.

[2]– سورة آل عمران الآية 195.

[3]– سورة النساء الآيتان: 123– 124.

[4]– رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: {**وأنذر عشيرتك الأقربين**}.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040, ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 299–350 تاريخ النشر: 2018/12/13

وقد اهتمت المرأة بالشأن العام بحكم طبيعة الدعوة الإسلامية في عهد الرسالة، فقد جاءت لإحياء الإنسان وتنبيهه للقضايا الكبرى ذات الشأن في هذا الوجود، وأن هذه الحياة ليست عبثا، وأنه مسؤول عن مصيره الفردي والجماعي حسب ما يقدمه من عمل وما يظهره من وعي تاريخي وإدراك لدوره في صناعة المستقبل. وقد أدركت كثير من النساء هذه الحقيقة، وتطلب ذلك منهن السعي إلى زيادة الوعي بما يدور حولهن، لفهم الكثير من شؤون المجتمع والتمييز بين ما هو خطأ وصواب منها، واعتبرت نفسها معنية بقول النبي صلى الله عليه وسلم: (**من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، ومن لم يصبح ويمسي ناصحاً لله ولرسوله ولكتابه ولإمامه ولعامة المسلمين فليس منا**)[1]. وشؤون المسلمين تضيق وتتسع في أذهان الناس بحسب ثقافة كل منهم، وسعة آفاقه العقلية واستعداده الذاتي، والمرأة في ذلك كالرجل، والميدان الذي يمكن أن تؤدي فيه دورها في رعاية المجتمع والنهوض به واسع رحب[2].

قال الله تعالى:{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[3].

وكيف لا يتعاون المؤمنون والمؤمنات على البر والتقوى كما أمرهم الله تعالى، وهم يرون بأعينهم تعاون المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات على إظهار المنكر وكبت الخير

[1]– من حديث حذيفة بن اليمان، قال الحافظ الهيثمي: "رواه الطبراني في الأوسط والصغير، وفيه عبد الله بن أبي جعفر الرازي، ضعفه محمد بن حميد ووثقه أبوحاتم وأبوزرعة وابن حبان"، ينظر له: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الفكر، بيروت، 1412هـ، 1992م، 104/1.

[2]– ينظر: البهي الخولي، الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة، ص41–42، نقلا عن هبة رؤوف عزت، المرأة والعمل السياسي رؤية إسلامية، دار المعرفة، الجزائر، 2001، ص106.

[3]– سورة التوبة الآية 71.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040, ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 299–350 تاريخ النشر: 2018/12/13

ومنع المعروف؟ وهل تستقيم الحياة إلا بتعاون الرجال والنساء وتكاتفهم في النهوض بالأمة والأخذ بيدها إلى الخير والفلاح، ومقاومة قوى الشر من أن تسوقها إلى المهالك، كيف ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**)[1].

وعن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل**)[2]، فانظر كيف ربط النبي صلى الله عليه وسلم بين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبين الإيمان. ولا يمكن أن يقال إن ذلك خاص بالرجال دون النساء، لأن العموم الذي في النص يقتضي دخول النساء في الخطاب، لدخولهن في وصف الإيمان.

ثالثا: حفظ الكرامة الإنسانية ومراعاة الخصوصية

أعطى النبي صلى الله عليه وسلم المرأة الحق في الكرامة الإنسانية، ورد اعتبارها في المعاملة، ويروى عنه أنه قال: (**ما أكرمهن إلا كريم** ...)، وإذا كان هذا الحديث فيه مقال من حيث السند، فإن معناه قريب من خلق النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي يقول: من رواية عائشة (**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**...)[3].

---

[1]– رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهى عن المنكر من الإيمان.

[2]– رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهى عن المنكر من الإيمان.

[3]– حديث صحيح رواه الترمذي والدارمي، ينظر: محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، مشكاة المصابيح، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط3، المكتب الإسلامي، بيروت، 1405هـ، 1985م، كتاب النكاح، باب عشرة النساء، 238/2.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040, ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 299–350 تاريخ النشر: 2018/12/13

وكان من خلقه صلى الله عليه وسلم أنه يلفت النظر إلى جوانب الخير والحسنات من الأمور ويكره أن يعيِّر الناس بعضهم بعضا بما يكرهون من الصفات؛ من ذلك أنه عندما عيرت بعض زوجاته ضرتها، جبر خاطر التي تأذت بالتعيير بذكر ما يثلج صدرها من محاسنها، وزجر التي عيرت.

عن أنس قال: بلغ صفية أن حفصة قالت: ابنة يهودي، فبكت، فدخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقال: (**ما يبكيك؟**) قالت: قالت لي حفصة: ابنة يهودي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (**إنك لابنة نبي، وإن عمك نبي، وإنك لتحت نبي، فبم تفخر عليك؟**) ثم قال: (**اتقي الله يا حفصة**)[1].

وكان صلى الله عليه وسلم لا يرضى لمؤمن ولا مؤمنة بالاسم الذي فيه معرة عليه وأذية لمشاعره ينادى به صباح مساء، من ذلك: أنه كما غير أسماء بعض الرجال الذين يحملون اسما مهينا أو فيه منقصة، اعتنى كذلك بالنساء في اختيار الاسم الذي يحفظ كرامتهن ويزيد اعتزازهن بأنفسهن؛ من ذلك، أن جميلة امرأة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما كان اسمها عاصية، فغير النبي صلى الله عليه وسلم اسمها وقال: (**أنت جميلة**)[2].

---

[1]– رواه النسائي، السنن الكبرى، كتاب عشرة النساء، باب الافتخار، 163/8.

[2]– صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت764هـ)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 1420هـ، 2000م، 144/11. قال الصفدي: "جميلة هذه هي التي غيّر النبي صلى الله عليه وسلم اسمها. وهي صحابية وقد جاء في بعض الروايات أنها ابنة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وقال ابن عبد البر وابن ماكولا إنها زوجة عمر بن الخطاب. قال ابن عبد البر: هي جميلة بنت ثابت بن أبي الأفلح الأنصارية أخت عاصم بن ثابت، تكنى أمّ عاصم، بابنها عاصم بن عمر. وكان اسمها عاصية فغيَّره النبي صلى الله عليه وسلم وطلّقها عمر، فتزوجّت زيد بن حارثة". وهي أيضا في تهذيب الأسماء، فذكر النووي الخلاف في كونها زوجة عمر بن الخطاب أو ابنته، وقال: فيحتمل أنهما كانتا اثنتين. ينظر: محيي الدين بن شرف النووي، تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية، بيروت، دت، 335/2–336.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040, ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 299–350 تاريخ النشر: 2018/12/13

وهذا مع عدم المبالغة في تمجيد النفس وتزكيتها بما لا تستحق أو بما يتجاوز حدود الأدب مع الله تعالى؛ فقد غير صلى الله عليه وسلم الأسماء المبالغ في تزكية صاحبها، ولم يستثن من ذلك النساء، ومنهن امرأته جويرية بنت الحارث[1]، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: "كانت جويرية اسمها برة، فحول رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمها جويرية، وكان يكره أن يقال خرج من عند برة"، وفي رواية أخرى أن رجلا سمى ابنته برة فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: (**لا تزكوا أنفسكم الله أعلم بأهل البر منكم**) [2].

وليمحو النبي صلى الله عليه وسلم ما ترسب من أدران الجاهلية في النفوس كان يوصي الرجال بالنساء خيرا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه؛ فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء**)[3]؛ ذلك أن "... من مظاهر اكتمال الخلق، ونمو الإيمان أن يكون المرء رقيقا مع أهله، يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه: (**أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، وخياركم خياركم لنسائهم**)[4]، وإكرام المرأة دليل الشخصية المتكاملة، وإهانتها علامة على الخسة واللؤم"[1]، فـ(ما أكرمهن إلا كريم، وما أهانهن إلا لئيم)[2]...

---

[1]– هي: جويرية بنت الحارث بن ضرار الخزاعية المصطلقية سباها النبي صلى الله عليه وسلم

[2]– رواه مسلم في صحيحه، كتاب الآداب، باب: استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن وتغيير اسم برة إلى زينب وجويرية ونحوهما.

[3]– رواه البخاري، في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى {**وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة**} حديث رقم: 3153، واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء.

[4]– الحديث من رواية أبي هريرة، أخرجه الترمذي وقال: حسن صحيح: سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، شركة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط2، 1395هـ، 1975م، 457/2، رقم 1162،. وابن حبان، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040, ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 299–350 تاريخ النشر: 2018/12/13

ومن رفقه بهن أنه كان إذا أخذ البيعة منهن قال: (**فيما استطعتن وأطقتن**)[3]، ومن رفقه صلى الله عليه وسلم بهن أنه كان يجعل لهن في السفر حاديا غير حادي الرجال، وكان اسمه أنجشة، ومن لطيف أخباره ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم على بعض نسائه ومعهن أم سليم فقال: (**ويحك يا أنجشة، رويدك سوقك بالقوارير**). قال أبو قلابة: فتكلم النبي صلى الله عليه وسلم بكلمة لو تكلم بها بعضكم لعِبتموها عليه قوله: (**سوقك بالقوارير**)[4]. ومعنى قول أبي قلابة: "لعبتموها عليه" أي: عبتم على الذي تكلم بها، لأن فيها ملاطفة وتوددا إلى النساء[5].

(ت 739هـ)، تحقيق وتخريج وتعليق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1408هـ، 1988م، 483/9 ، رقم 4176. والبيهقي، شعب الإيمان، المرجع السابق، 129/1، رقم 27.

[1]– السيد سابق، فقه السنة، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1397هـ، 1977م، 185/2.

[2]– أورده السيد سابق في "فقه السنة" على أنه حديث للنبي صلى الله عليه وسلم، وتداوله الناس على ذلك، غير أني لم أجده في كتب الحديث صحيحها وضعيفها.

[3]– من حديث أميمة بنت رقيقة، قالت: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في نساء نبايعه فأخذ علينا النبي صلى الله عليه وسلم {أن لا يشركن بالله}، الممتحنة: الآية 12، قال: (**فيما استطعتن وأطقتن**) قلنا: رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم بنا من أنفسنا، قلنا: يا رسول الله، ألا تصافحنا؟ قال: (**إني لا أصافح النساء، ما قولي لامرأة واحدة إلا كقولي لمائة امرأة**).رواه النسائي، السنن الكبرى، كتاب البيعة، باب امتحان النساء. وعدم مصافحته لهن إنما هو لحرمة ملامسة امرأة أجنبية عنه، وهو حكم عام في كل مسلم.

[4]– رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه. ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب رحمة النبي صلى الله عليه وسلم للنساء.

[5]– من تعليق مصطفى ديب البغا على صحيح البخاري، ينظر: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق وتعليق: مصطفى ديب البغا، ط3، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، 1407هـ، 1987م، 2278/5.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040, ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 299–350 تاريخ النشر: 2018/12/13

رابعا: التركيز على التربية والتعليم

كانت مهمة النبي صلى الله عليه وسلم مهمة تربوية بالدرجة الأولى وتعليمية بالضرورة، والتربية عملية "تبليغ الشيء إلى كماله شيئا فشيئا"[1]، وهو معنى لا يختص بالإنسان، إلا أنه يشمل تربية الإنسان أيضا. فالمقصود بالتربية الموجهة للإنسان، هو الوصول به إلى درجة الكمال في الإنسانية، وهو معنى مجمل قد يفاد تفصيله من التعريفات الحديثة التي خصصت بتربية الإنسان؛ فالتربية في علم النفس الحديث، "هي عملية منظمة لإحداث تغييرات مرغوب فيها في سلوك الفرد من أجل تطور كامل لشخصيته في جوانبها الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية"[2]، على أن هذا التعريف لا يضع في اعتباره جانبا على غاية من الأهمية وهو الجانب الروحي، وهو مما لا يمكن التغاضي عنه في الرؤية الإسلامية، فتضاف إلى التعريف الجوانب الروحية.

ومهما اختلفت مفاهيم التربية من مجتمع إلى آخر، فإنها، لا محالة، تتضمن مجموعة من العناصر التي تشترك فيها كل الأمم، وهي أنها جهد إنساني موجه إلى الإنسان، وأنها عملية هادفة، لأن المربي يهدف إلى غاية من وراء الجهد الذي يبذله فيها، ثم إنها عملية توجيهية يقوم المربي من خلالها بتوجيه المتعلم نحو الأهداف ويبصره بما تم إنجازه، وما ينبغي

---

[1]– أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي (ت1094هـ)، الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، دت، ص314. وعرفها الأصفهاني بأنها "إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حد التمام"، الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد (ت 502هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، 1412هـ، ص184. وكلاهما عرف التربية بمعناها اللغوي العام الذي يقع على الأشياء، كما يقع على الإنسان، فلا يخصصها به.

[2]– محيي الدين توق وعبد الرحمن عدس، أساسيات علم النفس التربوي، ص3، نقلا عن: داود بن عيسى بورقيبة، منهج القرآن في التربية، آيات الأحكام نموذجا، رسالة دكتوراه مطبوعة، المطبعة العربية، غرداية، 1430هـ، 2009م، ص40.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040, ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 299–350 تاريخ النشر: 2018/12/13

فعله، وهي أيضا عملية إنماء يحصل من ورائها نمو وزيادة في شخصية المتعلم... ووجود هذه العناصر المشتركة لا يلغي التباين في مفهومها ومضمونها بين الأمم[1].

وقد جاء الإسلام "بقيم جديدة، يمكن لأي إنسان أن يحصل عليها، وكانت المساجد وحلقات التعليم والتوجيه هي مجالات التكوين والأطر الجديدة للمجتمع الجديد"[2].

وأبرز أوجه التباين بين هذا الدين وبين غيره، تظهر على مستوى الغايات والأهداف، والغاية من التربية في الإسلام، هي إعداد الإنسان الصالح، بكل ما يعنيه الصلاح من معان؛ إذ يشمل معنى الصلاح، صلاحه في عبوديته لله تعالى عبودية كاملة، وصلاحه في عمارة الأرض، وصلاحه في خلافة الله تعالى عليها. ثم يندرج تحت هذه الغاية الكلية أهداف أخرى جزئية، تتمثل في تحقيق النمو عند الإنسان في جوانب كثيرة، منها: النمو في الجسم والعقل والاعتقاد والروح والوجدان والأخلاق والنمو الاجتماعي والمهني والجمالي[3]. كما يبرز التباين، أيضا وبشكل أكبر، على مستوى المناهج المتبعة في تحقيق الأهداف المبتغاة من التربية، وما نريد أن نسلط الضوء عليه في هذه العجالة، هو المنهج الذي اتبعه النبي صلى الله عليه وسلم في تنمية النساء في عصره وترقيتهن إلى مستوى المرأة المسلمة الصالحة المنشودة.

وأما التعليم فإن النبي صلى الله عليه وسلم، وهو معلم الأمة جميعا، قد ركز عليه في مهمته النهضوية والحضارية، من أجل أن ينتج جيلا –بل أجيالا– من الرجال والنساء

[1]– ينظر: داود بن عيسى بورقيبة، منهج القرآن في التربية، المرجع السابق، ص41.

[2]– احميدة النيفر، القيم التربوية وبناء الشخصية الإسلامية المعاصرة، بحث مقدم في المؤتمر العالمي الرابع للفكر الإسلامي، المنعقد بالخرطوم، 1407هـ، 1987م، ص108.

[3]– ينظر: داود بن عيسى بورقيبة، منهج القرآن في التربية، المرجع السابق، ص43–88.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040, ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 299–350 تاريخ النشر: 2018/12/13

الذين يحملون لواء الدين ويقومون بتفعيله في عمارة هذه الأرض، فالتعليم والتقدم مفهومان متلازمان وقيمتان حضاريتان لا تنفصلان[1].

وقد كان عصر النبوة يفتح الآفاق نحو قيم تربوية متكاملة، جعلت الوعي التاريخي "الذي فجره الرسول عليه الصلاة والسلام قويا إلى درجة أن الحروب الأهلية والفتن والثورات السياسية التي عرفها طيلة قرون بعد ذلك لم تحد من إشعاعه وتأثيره اجتماعيا وفكريا وعلميا"[2].

خامسا: الجمع بين الترغيب والترهيب

يقوم منهج الإسلام على قاعدتي الترغيب والترهيب، فهو يدعو الناس إلى الخير وإلى نعيم الآخرة، ويرغبهم فيما عند الله تعالى من الجزاء على صالح الأعمال، كما لا يهمل جانب الترهيب من غضب الله تعالى وعقوبته، وذلك هو شأن النبي صلى الله عليه وسلم مع الناس جميعا، ومنهم النساء، فكان خطابه لهن يجمع بين الأمرين؛ حيث نجد بعض الأحاديث ترهب النساء من سوء العاقبة، حتى ليخيل إليك أنهن أكبر مسؤولية من الرجال، ثم يبشرهن بالخير والمغفرة والرحمة بما يثلج صدورهن ويؤملهن في كرم الله تعالى وعفوه.

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم: (**اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء**)[3].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أضحى أو فطر إلى المصلى ثم انصرف فوعظ الناس وأمرهم بالصدقة فقال: (**أيها الناس**

[1]– احميدة النيفر، القيم التربوية وبناء الشخصية الإسلامية المعاصرة، المرجع السابق، ص110.

[2]– احميدة النيفر، القيم التربوية وبناء الشخصية الإسلامية المعاصرة، المرجع السابق، ص110.

[3]– صحيح مسلم، كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء. وله روايات أخرى للحديث.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040, ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 299–350 تاريخ النشر: 2018/12/13

تصدقوا)، فمر على النساء فقال: (**يا معشر النساء تصدقن، فإني رأيتكن أكثر أهل النار...**)[1].

وعن زينب امرأة عبد الله قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**تصدقن يا معشر النساء ولو من حليكن**). وقد كانت زينب امرأة ذات مال، وكانت تنفق على زوجها عبد الله بن مسعود وبنيه، فانطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأل عن ذلك، فإذا بامرأة من الأنصار على بابه تسأل عما تسأل عنه زينب، فخرج إليهما بلال ثم دخل إليه فسأله عن حاجتهما فقال رسول الله صلى الله عليه: (**لهما أجران؛ أجر القرابة وأجر الصدقة**)[2].

هذا وقد شاع هذا الحديث وما كان في معناه حتى ظن بعض الناس أن النار خلقت من أجل النساء، ومنهم من فهم من ذلك أن قليلا من النساء من يدخل الجنة، وربما أوهمت بعض الروايات ما يفيد ذلك؛ فقد روى مسلم بسنده قال: "حدثنا شعبة عن أبي التياح قال: كان لمطرف بن عبد الله امرأتان، فجاء من عند إحداهما، فقالت الأخرى: جئت من عند فلانة؟ فقال جئت من عند عمران بن حصين، فحدثنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**إن أقل ساكني الجنة النساء**)[3].

بل إن بعض المغرضين قد عد ذلك مثلبة للإسلام وراح يدلل به على أن الإسلام دين يعادي المرأة وينظر إليها على أنها مصدر الشرور.

---

[1]– رواه البخاري في صحيحه كتاب الزكاة، باب الزكاة على الأقارب، حديث رقم 1393.

[2]– رواه البخاري في صحيحه كتاب الزكاة، باب الزكاة على الزوج والأيتام في الحجر، حديث رقم 1466، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين.. الحديث طويل، ومما جاء فيه أنهما طلبتا من بلال ألا يعرف بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكنه سأله عنهما فأجابه وعرف بهما.

[3]– رواه مسلم في صحيحه، كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040, ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 299–350 تاريخ النشر: 2018/12/13

غير أن من يستقرئ السنة النبوية سرعان ما يقع في خلده أن ذلك الحديث وأمثاله إنما ورد على سبيل الترهيب وفي مقام الحث على العمل الصالح. والذي يدل على ذلك أن الأحاديث الصحيحة تؤكد أن النساء أكثر أهل الجنة أيضا، من ذلك حديث آخر رواه الإمام مسلم أيضا: أخبرنا أيوب عن محمد قال إما تفاخروا وإما تذاكروا: الرجال في الجنة أكثر أم النساء؟ فقال أبو هريرة: أو لم يقل أبو القاسم صلى الله عليه وسلم: (**إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والتي تليها على أضوء كوكب دري في السماء لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم وما في الجنة أعزب**)[1].

وبذلك يمكننا توجيه هذه الأحاديث بأن الحديث الأول ورد على سبيل الترهيب من النار، أما الحديث الثاني، فقد ورد بالمعنى، وفيه ما يشير أن الرجل قال ذلك غيضا في زوجته لأنها سألته عن ضرتها، فخشي أن تسترسل في مضايقته بسببها، فأرسل الكلام بذلك ليحبسها عن مجادلته.

أما الحديث الثالث ففيه دليل على أن أكثر أهل الجنة النساء، لأنه لا يستقيم أن يكون لكل رجل زوجتان، وألا يكون في الجنة أعزب ثم يكون النساء أقل عددا. والذي يؤيد هذا التحليل، ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في مواضع متعددة، أن النساء المؤمنات في الدنيا هن أزواج المؤمنين في الجنة، منها ما رواه الترمذي عن الحسن قال: أتت عجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال: "**يا أم فلان، إن الجنة لا تدخلها عجوز" قال: فولت تبكي فقال: "أخبروها أنها**

[1]– صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب أول زمرة تدخل الجنة.. هذا أبو هريرة رضي الله عنه يفند مزاعم بعض من فهموا خطأ أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد الإخبار بقلة النساء اللاتي يدخلن الجنة، وهذا هو أيضا من يتهمه بعض أدعياء العلم أنه كثير التحامل على النساء، وأنه يروي أحاديث تدعم التعصب ضد المرأة، لفرط ما يجد في نفسه من عقد تجاه النساء.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040, ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 299–350 تاريخ النشر: 2018/12/13

لا تدخلها وهي عجوز؛ إن الله تعالى يقول: {إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا}[1] "[2]

سادسا: التشجيع على عمل الخير بذكر الفضائل

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهتم لأمر أصحابه جميعا ويسأل عن أحوالهم، وقد وصفه بعض أصحابه، فقال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعظم النعمة وإن دقت، لا يذم منها شيئا" وكان "... يتفقد أصحابه، ويسأل الناس عما في الناس، ويحسن الحسن ويقويه، ويقبح القبيح ويوهنه"[3].

وكان صلى الله عليه وسلم يعرف الفضل لأهل الفضل، ويرفع معنويات المسلمين في أشد الأوقات وأحلكها. من ذلك ما روته نسيبة أم عمارة رضي الله عنها من قصتها يوم أحد، عندما كانت تدفع بابنها الجريح للقتال فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: (**ومن يطيق ما تطيقين يا أم عمارة؟**)[4]. ومنها: أنه كان يطلق الألقاب الشريفة التي تمجد كل عمل جميل وبنّاء أو مبدع، من ذلك أنه لقب أسماء بنت أبي بكر بـ(ذات النطاقين) لما

[1]– سورة الواقعة، 36.

[2]– محمد بن عيسى الترمذي، أبو عيسى (ت 279هـ)، الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية، تحقيق: سيد بن عباس الجليمي، المكتبة التجارية، مصطفى أحمد الباز– مكة المكرمة، 1413هـ، 1993م، 199/1، حديث رقم: 241. وأدرجه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم: 2987.

[3]– ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي (ت 643هـ)، صفة النبي صلى الله عليه وسلم وأجزاء حديثية أخرى، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دار ابن حزم، بيروت، 2004 م، ص149، 151. من كلام طويل لعلي رضي الله عنه في وصف النبي صلى الله عليه وسلم لولديه الحسن والحسين رضي الله عنهم جميعا.

[4]– ينظر: عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي تقي الدين (ت600هـ)، من مناقب النساء الصحابيات، تحقيق: إبراهيم صالح الناشر: دار البشائر، 1994م، ص63.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040, ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 299–350 تاريخ النشر: 2018/12/13

شقت نطاقها وربطت به الطعام الذي حملته إليه وأبيها يوم الهجرة، فاشتهرت بهذا الاسم وكان مصدر اعتزاز وإلهام لها[1].

"وكان يبعث إلى ثويبة مولاة أبي لهب، مرضعته، بصِلَة وكِسوة، فلما ماتت سأل: من بقى من قرابتها؟ فقيل لا أحد"[2]، ولو بقي منهم أحد لوصله كما كان يصلها، كيف لا والوفاء شأنه صلى الله عليه وسلم مع كل من كان له مكانة في قلبه أو تقدم إليه منه إحسان أو معروف.

سابعا: إدراج المرأة ضمن شبكة العلاقات الاجتماعية

كانت المرأة تحظى بمكانة معتبرة في المجتمع الذي أنشأه النبي صلى الله عليه وسلم وعمل على تثبيت أركانه، وكما كان يحرص على التواصل مع المسلمين من الرجال ومواساتهم ومد أسباب الثقة لديهم وفتح أبواب التفاعل معهم، فلم يستثن النساء من ذلك، ولكن مع مراعاة التحفظ والحيطة في العلاقة بين الرجال والنساء. ومما ورد عنه في ذلك:

1– كان يزور بعضهن ويواسيهن في المصائب ويهنئ بالزواج

كان ممن يزوره النبي صلى الله عليه وسلم من الصحابيات: لبابة بنت الحارث رضي الله عنها، وتلقب بلبابة الكبرى، وهي زوجة العباس أول امرأة أسلمت بعد خديجة رضي الله عنها[3]. والشفّاء بنت عبد الله وقد عاشت بعد النبي صلى الله عليه وسلم زمنا[1].

---

[1]– ينظر في فضائل أسماء رضي الله عنها: النووي، تهذيب الأسماء، المرجع السابق، 2/328–329.

[2]– القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي ت 544هـ، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الفكر، بيروت، 1409هـ، 1988م، ص129/1

[3]– ينظر: يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي، تهذيب الكمال، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1400هـ، 1980م، 297/35.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040, ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 299–350 تاريخ النشر: 2018/12/13

ولما أصيبت أم عمارة في غزوة أحد، وكان ذلك أعظم جراحها؛ مكثت في مداواته سنة، ثم نادى منادي النبي صلى الله عليه وسلم إلى (حمراء الأسد)[2]، فلم تقدر أم عمارة على المضي معه، فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحمراء، ما وصل إلى بيته حتى أرسل إليها عبد الله بن كعب المازني يسأل عنها، فرجع إليه يخبره بسلامتها، فسر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك[3].

ممن ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم زارها أيضا: الرُّبَيِّع بنت مُعَوِّذ بن عفراء[4]، وهي امرأة بايعت النبي صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة بيعة الرضوان، دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرسها وسمع المغنيات ينشدن فأرشدهن إلى ما ينبغي؛ ففي رواية خالد بن ذكوان عنها قالت: دخل عليّ النبي صلى الله عليه وسلم غداة بُنِي علي، فجلس على فراشي كمجلسك مني، وجويريات يضربن بالدف يندبن من قتل من آبائهن يوم بدر، حتى قالت جارية: وفينا نبي يعلم ما في غد، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (**لا تقولي هكذا وقولي ما كنت تقولين**)[5].

---

[1]– هي: الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس العدوية القرشية، أم سليمان. ينظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1980، 168/3.

[2]– حمراء الأسد موضع قريب من المدينة على ثمانية أميال، وغزوة حمراء الأسد هي التي جاءت على أعقاب غزوة أحد؛ خرج فيها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لتتبع أثر المشركين خشية أن يرجعوا.

[3]– ينظر: عبد الغني بن عبد الواحد، من مناقب النساء الصحابيات، المرجع السابق، ص59.

[4]– هي من محدثات الصحابيات، روى عنها أهل المدينة، ينظر: النووي، تهذيب الأسماء، المرجع السابق، 343/2.

[5]– صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرا، حديث رقم: 3779 وهو في كتاب النكاح أيضا باب ضرب الدف في النكاح والوليمة رقم: 4852. علق البغا في شرحه على هذا الحديث عند قولها: (دخل علي..) بقوله: "وكان ذلك في ابتداء الأمر قبل أن يفرض الحجاب وتثبت الأحكام كما علمت". ينظر: الجامع الصحيح، المرجع السابق، 1469/4.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040, ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 299–350 تاريخ النشر: 2018/12/13

2– كان يفتح بابه للنساء في كل ما يعن لهن من الأمور

عن أبي سعيد الخدري، أن النساء، قلن لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يوما نأتيك فيه فواعدهن من الغد، فأمرهن ووعظهن، وقال: (**ما من امرأة منكن يموت لها ثلاثة من الولد إلا كانوا لها حجابا من النار**)، قالت امرأة: وثنتان؛ فإنه قد مات لي ثنتان، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**وثنتان**)[1].

كن يستشرنه في الأمر من أمورهن فيشير عليهن بما يصلحهن، فكان يهتم لأمرهن ويوجههن إلى ما فيه خيرهن؛ من ذلك: أن فاطمة بنت قيس طلقها زوجها فأشار عليها بقضاء العدة في بيت ابن أم مكتوم. ثم جاءته تستشيره في أمر زواجها عندما خطبها معاوية بن أبي سفيان وأبو الجهم، فخطبها لأسامة ونصحها به.

وجاءته خنساء بنت خِذَام الأنصارية لما زوجها أبوها وهي كارهة، جاءت تشتكي إليه صلى الله عليه وسلم فرد نكاحها، وجعل الأمر إليها تختار من تشاء[2].

وجاءته خولة بنت مالك بن ثعلبة امرأة أوس بن الصامت تجادله في زوجها وهو يراجعها باللين ويذكرها بقرابتها من زوجها حتى نزلت فيها آية الظهار، ثم أعانهما على بذل الكفارة[3].

---

[1]– رواه النسائي، السنن الكبرى، كتاب العلم، باب: هل يجعل العالم للنساء يوما على حدة في طلب العلم؟ 386/5. اللفظ للنسائي، ورواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب هل يجعل للنساء يوم على حدة في طلب العلم، رقم 101.

[2]– روى البخاري حديث خنساء في صحيحه، كتاب النكاح، باب إذا زوج ابنته وهي كارهة فنكاحه مردود، رقم 4845.

[3]– الحوار الذي جرى بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين خولة بنت ثعلبة ثابت في القرآن الكريم، غير أن الروايات التي تذكر تفاصيله ليست من الصحاح، منها ما في مسند الإمام أحمد وفيه جهالة بأحد الرواة، وهي أيضا في المعجم الكبير للطبراني.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040, ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 299–350 تاريخ النشر: 2018/12/13

3– كان يستشيرهن ويأخذ بالرأي الصالح منهن ويستعين ببعضهن

لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يتحرج أو يستنكف من مشاورة زوجاته فيما يرجو منهن الرأي فيه، من ذلك استشارته صلى الله عليه وسلم لأم سلمة في صلح الحديبية، عندما أمر أصحابه بنحر الهدي وحلق رؤوسهم، فلم يفعلوا لفرط ما شق عليهم أن يرجعوا ولم يدخلوا مكة. فدخل مهموما حزينا على أم سلمة في خيمتها وشكى لها ما كان من أصحابه، فأشارت عليه بالرأي؛ قالت: اخرج يا رسول الله فاحلق وانحر، فحلق ونحر وإذا بأصحابه كلهم يقومون قومة رجل واحد فيحلقون وينحرون، فقد اهتدت رضي الله عنها إلى تأثير فعله صلى الله عليه وسلم في نفوسهم، وأنه سبيل إلى قطع الأمل عندهم في التراجع عن قراره. وكما كان صلى الله عليه وسلم يستعين بصحابته من الرجال فيما يعن له من أمور الدعوة والدولة، فقد استعان أيضا بالنساء الصحابيات، ولم يكن يرى في ذلك حرجا، منهن:

خولة بنت عمرو؛ استسلفها في تمر، فعن عائشة قالت: "ابتاع النبي صلى الله عليه وسلم جزورا من أعرابي فبعث إلى خولة بنت عمرو يستسلفها"[1].

ومنهن: رملة بنت الحارث كان لها بيت يضيف فيه النبي صلى الله عليه وسلم الوفود، ويجعله لإيواء من يريد إيواءه، وربما اتخذه سجنا، من ذلك أنه أنزل فيه وفدا من بني ثعلبة جاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقرين بالإسلام، فأقاموا بدارها حتى التقوا بالنبي صلى الله عليه وسلم، ثم أقاموا حتى سمعوا القرآن وتعلموا السنن ثم انصرفوا إلى

[1]– أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، 1412هـ، 630/7. وأخرجه ابن منده، وأبونعيم. ينظر: علي بن أبي الكرم الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت630هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، 1415هـ، 1994م، 96/7.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040, ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 299–350 تاريخ النشر: 2018/12/13

أهلهم[1]. ومن ذلك أيضا، أنه جمع في دارها أسرى بني قريظة قبل أن ينفذ فيهم حكم سعد بن معاذ[2].

4– كان النساء يعدن النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه

روى أبو عبيدة بن حذيفة، عن عمته فاطمة أنها قالت: أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في نساء نعوده فإذا بسقاء مغطى عليه من شدة ما يجد من الحمى قلت: يا رسول الله، لو دعوت الله فكشف عنك. قال: (**إن من أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**)[3].

فهذه نبذة موجزة ونماذج مما وصلنا عن النبي صلى الله عليه وسلم من أخبار تدل على سيرته في التعامل مع النساء، وهي كلها تدل على منطق جديد في هذا التعامل، لم تكن العرب تعرفه قبل ذلك، يدل على إحلال المرأة مكانة سامية في السلّم الاجتماعي، وتجعلها عنصرا إيجابيا في المجتمع الإسلامي لا يقل عن الرجل في شيء، من خلال: تقرير مبدأ الأصل الواحد، ثم تفعيل مبدأ المساواة تشريعيا، بسن الأحكام التي تضمن ذلك، وحفظ كرامة المرأة مع مراعاة الخصوصية، وإعطائها حظها من التربية والتعليم، والجمع بين أسلوبي الترغيب والترهيب في وعظها وإرشادها إلى ما ينفعها، مع التشجيع على الخير بالتنويه بالفضائل، وأخيرا إدراجها في شبكة العلاقات الاجتماعية واستثمار طاقاتها وإمكاناتها في حاجات المجتمع لتكون عضوا فعالا في مدينتها...

[1]– ينظر: محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت942هـ)، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1414هـ، 1993م، 295/6.

[2]– ينظر قصتهم: المرجع نفسه، 12/5.

[3]– رواه النسائي، السنن الكبرى، كتاب الطب، باب عيادة النساء الرجال، 53/7.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040, ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 299–350 تاريخ النشر: 2018/12/13

المبحث الثاني: مظاهر عناية السنة النبوية بالمرأة وإشراكها في مشروع الدعوة الإسلامية

إن أبرز العوامل التي تضافرت لتحدث التغيير في الأوضاع الاجتماعية للمرأة في عصر الرسالة هي: النص القرآني، والحديث النبوي، والقدوة النبوية في التعامل مع أهل بيته، وكذلك في تعامله مع الصحابيات بشكل عام، وإقراره لمشاركتهن في نواحي الحياة المختلفة. ولا شك أن حرص الصحابيات، والأنصاريات على وجه الخصوص، على المشاركة الإيجابية في أنشطة المجتمع المختلفة، وبروز نماذج حية من النساء المجاهدات المتفانيات في سبيل الدعوة الإسلامية، قد كرس عملية التغيير ودفعها إلى الأمام، فكانت المرأة في عصر النبوة تغشى الميادين المختلفة على هدي من آداب الإسلام وكانت تأخذ مكانها في صف متماسك، ومجتمع يلتقي على قيم ومبادئ واضحة، ليست دخيلة عليه ولا غريبة عنه[1]. وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم المرأة إلى الإيمان، والهجرة، وأشركها مع الرجال في البيعة، وبعد ظهور الإسلام وتأسيس دولته، حث صلى الله عليه وسلم النساء على المشاركة في كافة أنواع النشاط في المجتمع الناشئ؛ فشاركن في أداء الشعائر الدينية العامة، وفي النشاط الدعوي، وفي التجارة والصناعة، بل وحتى في الجهاد...

أولا: دعوتها إلى الإيمان ثم الهجرة

إن مما يجعل الإسلام عنصر حياة للمجتمعات هو طبيعته التغييرية، فهو إذا دخلته أمة وآمنت به بدل حالها من ممات إلى حياة، ومن وهن إلى قوة، ومن جهل إلى علم ووعي... ذلك أنه يحمل أهدافا سامية وقيما عليا، لا يمكن أن تستقيم مع الركود والخمول؛ فهو يهدف إلى إخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله تعالى وحده والاستسلام والانقياد لأوامره في المنشط والمكره، والعسر واليسر، وفي الاعتقاد والتفكير، وفي السلوك والعمل. ثم إنه يدعو الناس جميعا إلى اجتناب الطاغوت وكل ما يؤدي الإيمان به إلى

[1]– ينظر: هبة رؤوف عزت، المرأة والعمل السياسي، المرجع السابق، ص115.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040, ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 299–350 تاريخ النشر: 2018/12/13

الطغيان والخروج عن الحق، بأي صورة ظهر، وعلى أي شكل تمثل؛ سواء كان إنسانا، أم وثنا، أم هوى في نفس صاحبه، فالغاية هي نقل العباد من عبادة الطاغوت إلى عبادة الله وحده.

إن إنكار الإسلام لما عليه الناس من الطاغوت والكفر والجاهلية والشرك والنفاق... هو الذي يجعل هذا الدين دعوة تغيرية أصيلة، تهدف إلى إزالة التناقض من حياة الإنسان، وإحلال التوافق والانسجام محله، كما تهدف إلى إنهاء الاختلال في حركة المجتمع وتدفعه نحو التكامل والاستقرار. ولكي تتحقق هذه النقلة الكبيرة، لابد من تغيير الأوضاع الفكرية والنفسية والاجتماعية، والسياسية والاقتصادية، والخلقية للبشرية أفرادا ومجتمعات[1].

وقد يبدو من غير المألوف أن نلاحظ أن أول إنسان عرضت عليه الدعوة الجديدة عند نزول الوحي كان امرأة، فلقد لجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم عند تلقيه الوحي، وهو تحت وطأة المفاجأة، إلى زوجته خديجة رضي الله عنها، وشاورها في ما حل به من أمر النبوة. وقد قامت بتدبير الأمر والبحث عن حقيقته وذهبت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل لتستقصي عن الأمر وتطمئن قلب النبي صلى الله عليه وسلم وتسنده في محنته، ناهيك عن الدعم المادي الذي قدمته خديجة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم ولدعوته على مدى حياتها، وما فتئ عليه الصلاة والسلام يذكر فضلها إلى أن قبض، وكان يقول: **(صدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله منها الولد إذ لم يرزقني من غيرها)**[2].

---

[1]– ينظر في طبيعة الإسلام التغييرية وأهداف هذا التغيير: الطيب برغوث، التغيير الإسلامي خصائصه وضوابطه، مكتبة رحاب، الجزائر، دت، ص25–28.

[2]– رواه الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير أبو القاسم الطبراني (ت360هـ)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط2، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، دت ، (مناقب خديجة رضي الله عنها)، ج23/ص13.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040, ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 299–350 تاريخ النشر: 2018/12/13

لقد كان لموقف السيدة خديجة رضي الله عنها عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم دلالات كثيرة، منها: أن المرأة شريكة في دعوة الإسلام برمتها، رغم أنها لم تتشرف بنعمة النبوة، فقد تشرفت بأن كانت من الصدّيقين، ومنها أن المرأة لا تقصر عن معالجة الأمور العظام، ومنها أن المرأة الصالحة هي سند الرجل وعونه على الصعاب ومسكنه عند تلاطم الخطوب، ومصدر إلهامه في الملمات.

وقد عرفت كثير من النساء أن دعوة النبي صلى الله عليه وسلم هي دعوة الحق، ودخلن الإسلام في مرحلة الدعوة السرية، ثم نلن من التعذيب ما لقي الرجال من المؤمنين، وكانت المرأة أول من قتل شهيدا في التعذيب دون الرجوع عن دينها، فكانت سمية أم عمار تلقى من التعذيب ما لا يصبر عليه الرجال، ولكنها صمدت حتى لقيت ربها مؤمنة.

ولقد صبر النساء على ذلك حتى أذن بالهجرة، فمنهن من هاجر إلى الحبشة مع المهاجرين، ثم لما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، هاجرن معه وتركن الأهل والولد، وكل ذلك في سبيل الله تعالى وهروبا بدينهن من أن يفتنّ عنه. فلم تكن النساء بمعزل عن الأحداث في الصراع بين الحق والباطل، بل كان للكثيرات منهن مواقف إيجابية مشرفة، وكل ذلك تحت رعاية النبي صلى الله عليه وسلم وبموافقته وتشجيعه لهن.

ثانيا: إشراكها في العمل السياسي

العناية بالسياسة تعني سيادة الإيمان بالتوحيد، وما يترتب على هذه السيادة من سيادة للتشريع الذي انبثق عنه وضرورة الحكم بمقتضاه، فكان اعتناق هذا الدين، في وعي الذين اتبعوه، لا يتم ولا يظهر له معنى إلا بالعمل السياسي. وكان النساء اللواتي اتبعن النبي صلى الله عليه وسلم يدركن ذلك، وإيمانهن بالدين الجديد دفعهن إلى المسارعة إلى مبايعة النبي صلى الله عليه وسلم ونصرته في مجالدته للباطل. إن مضمون بيعة النساء، لا يقتصر على البيعة الإيمانية، ولا يمكن اختزاله في مجرد الالتزام بالواجبات الإيمانية التي تشكل أركان الإسلام، وإنما تعدت هذه البيعة ذلك لتشمل الطاعة في المعروف وما يتبع ذلك من تأييد

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040, ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 299–350 تاريخ النشر: 2018/12/13

ونصرة للرسول صلى الله عليه وسلم. بل إن "بيعة النساء"[1] عُدّت قاعدة للبيعة على الالتزام بالإسلام والطاعة للنبي صلى الله عليه وسلم، يستوي فيها الرجل والمرأة، ثم تزيد الالتزامات على ذلك في مراتب أخرى للبيعة؛ كالبيعة على الجهاد، والبيعة على النصرة، والبيعة على الموت وغيرها... وبعض هذه الأنواع اقتضتها الأحوال، وأملتها ظروف الدعوة وتحديات الواقع الذي عاشه المسلمون مع نبيهم[2].

إذن، "لم تكن البيعة في العهد النبوي، بكل ما تعني من دلالات سياسية وعقيدية، خاصة بالرجل، بل كان أغلب النساء اللاتي اتصلن برسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ عليهن ما أخذ على الرجال، ويكفي الباحث أن يطالع تراجم الصحابيات المبايعات ليتأكد لديه ما ذكرنا..."[3].

لقد كانت النساء حاضرات في بيعة العقبة الثانية، وهي بيعة غاية في السرية عقدها النبي صلى الله عليه وسلم مع بعض أهل المدينة من الأوس والخزرج ليدعموا دعوته وينصروه على من حاربه من المشركين، وقد اعتبرها كثير من الباحثين عقدا تأسيسيا للدولة الجديدة

[1]– وردت أحاديث كثيرة تدل على هذا المعنى، أخذها النبي صلى الله عليه وسلم على الأنصار في بيعة العقبة الأولى أبرزها حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه: أخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أخذ على النساء ستا: (أن لا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا يعضه بعضكم بعضا، ولا تعصوني في معروف، فمن أصاب منكم منهن حدا فعجل له عقوبته فهو كفارته، وإن أخر عنه، فأمره إلى الله إن شاء عذبه، وإن شاء رحمه) رواه الإمام أحمد في مسنده تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، 1421هـ، 2001م، 341/37، رقم 22668.

[2]– يرى بعض الباحثين أن بيعة النساء تختلف عن بيعة الرجال من ثلاثة وجوه؛ في الكيفية، وفي حدود البيعة، وفي مساحة المسامحة عند عدم الوفاء. ينظر تفصيل هذا الرأي والرد عليه: هبة رؤوف عزت، المرأة والعمل السياسي، المرجع السابق، ص120، أسماء محمد أحمد زيادة، دور المرأة السياسي في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين، دار السلام، القاهرة، 1421هـ، 2001م، ص185.

[3]– أسماء زيادة، المرجع السابق، ص183.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040, ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 299–350 تاريخ النشر: 2018/12/13

التي أقامها النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك في المدينة. بل إن عددا كبيرا من النساء قد شاركن في بيعة الرضوان، بايعن فيها الرسول صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة، وقد تضمنت العهد على القتال حتى الفتح أو الشهادة، ومن الصحابة من قال إن هذه البيعة كانت على الموت، والمقصود بها عدم الفرار، منهن: سلمى بنت قيس من بني عدي بن النجار، والفريعة بنت مالك وغيرهما.

ثالثا: المشاركة في النشاط الاجتماعي:

شاركت المرأة في كافة أنواع النشاط التي كانت تمارس في المجتمع الإسلامي الناشئ، وكانت سببا، بشكل مباشر وغير مباشر، في تقرير بعض الأحكام الشرعية التي نزلت لحل بعض المشكلات التي طرحتها، وهنا سنعرض بعض مظاهر هذه المشاركة:

1– على مستوى الأسرة:

كان لكثير من النساء دور في إرساء قواعد التشريع الإسلامي وتفصيل أحكامه، وخاصة ما كان متعلقا بتنظيم العلاقات الأسرية، إذ لما استوعبن حقيقة الدعوة الإسلامية، نبذن كل العادات التي كانت تقضي باستضعافهن وتضييع حقوقهن، وثرن على ما كان مألوفا من المظالم في المجتمع الجاهلي، وكثير منهن كن سببا لنزول أحكام تنقض ما كان معتادا من علاقات أسرية واجتماعية فكانت الواحدة منهن تصر على تغيير الأوضاع القديمة وتتوجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم تشكو إليه ذلك.

وقد دأب النبي صلى الله عليه وسلم على اعتماد أصل المساواة بين الرجال والنساء، فقد روي أن من أسباب نزول قوله تعالى: {الرجال قوامون على النساء...} أن امرأة اشتكت إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن زوجها لطمها، فحكم بالقصاص بينهما على أصل المساواة بين الرجال والنساء في القصاص، ثم نزلت الآية، فأمر صلى الله عليه وسلم

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040, ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 299–350 تاريخ النشر: 2018/12/13

بنقض الحكم الأول، وجعل للزوج حق تأديب زوجته الناشز، فكان ذلك استثناء من قاعدة المساواة بينهما، من أجل مصلحة الأسرة وترتيب العلاقة الزوجية[1].

ورغم أن المرأة منهن كانت في الجاهلية تقعد تحت رجل لا تريده مدى حياتها، لا تجد سبيلا إلى التخلص منه، إلا أن التغيير الذي حدث دفع ببعض النساء أن تشكو إلى النبي صلى الله عليه وسلم بغضها لزوجها وهي حبيبة بنت سهل بن ثعلبة الأنصارية اختلعت من ثابت بن قيس[2].

وثارت خولة بنت ثعلبة بن أصرم الأنصارية[3] لما ظاهر منها زوجها بعد طول عشرة بينهما وتقدم سنهما، وكان الظهار في الجاهلية يعد طلاقا، فأنكرت أن يطلقها في هذه السن، واشتكت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ما صنع زوجها وظلت تجادله في ذلك حتى نزلت فيها الآيات الأولى من سورة المجادلة.

2– في أداء الشعائر الدينية العامة:

الخروج لشهود أيام المسلمين الكبرى أمر ضروري لرفع مستوى الوعي عند الفرد المسلم، سواء كان رجلا أم امرأة، وقد كلف الرجل بحضور الجمع والجماعات وشهود أعياد المسلمين، أما المرأة فبحكم طبيعتها ومسؤولياتها داخل البيت، لم يجعل ذلك واجبا عليها، ولكنه مندوب إليه أو على الأقل مباح للمرأة التي تجد إلى ذلك سبيلا.

---

[1]– ينظر في ذلك: محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1384هـ، 1964م، 168/5.

[2]– أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت852هـ)، تقريب التهذيب، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415 هـ، 1995م، 635/2.

[3]– وهي من الخزرج، يقال لها خويلة بالتصغير وزوجها هو أوس بن الصامت. ينظر: العسقلاني، تقريب التهذيب، المرجع السابق، 637/2.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040, ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 299–350 تاريخ النشر: 2018/12/13

وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم النساء إلى حضور صلاة العيدين، ولم يستثن من ذلك أي فئة منهن، حتى الحيْض الذي يعد مانعا من الصلاة، لم يجعل عذرا في الغياب عن هذه المشاهد؛ عن أم عطية رضي الله عنها قالت: "أمرنا أن نخرج العواتق وذوات الخدور"[1]، وفي رواية أخرى قالت: "أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نخرجهن في الفطر والأضحى؛ العواتق والحيض وذوات الخدور، فأما الحيض فيعتزلن الصلاة ويشهدن الخير ودعوة المسلمين. قلت: يا رسول الله إحدانا لا يكون لها جلباب قال: (**لتلبسها أختها من جلبابها**)"[2]. فكانت صلاة العيدين؛ مرتين في السنة، هي الحد الأدنى للوعي اللازم للمرأة المسلمة التي تمنعها مسؤولية الأسرة من حضور تجمعات المسلمين[3].

وهكذا فقد أزال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل الأعذار والعقبات التي تعترض النساء وتحول دون خروجهن وشهود الخير مع المسلمين، حتى جاء إلى أهم عقبة تقع في طريقها، وخاصة بالنسبة لزوجات المهاجرين[4]، فأمر صلى الله عليه وسلم الرجال بعدم منع نسائهم من المساجد؛ فعن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**إذا استأذنت أحدكم امرأته إلى المسجد فلا يمنعها**)[5]. فجعل من

[1]– رواه البخاري في صحيحه، كتاب العيدين، باب خروج النساء والحيض إلى المصلى.

[2]– رواه مسلم في صحيحه، كتاب العيدين، باب ذكر إباحة خروج النساء في العيدين إلى المصلى وشهود الخطبة.

[3]– ينظر: هبة رؤوف عزت، المرأة والعمل السياسي، المرجع السابق، ص107–108.

[4]– كان الأنصار ألين مع النساء من المهاجرين، وقد وصف عمر رضي الله عنه ذلك بقوله: "وكنا معشر قريش نغلب النساء، فلما قدمنا على الأنصار إذا هم قوم تغلبهم نساؤهم..." صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب الغرفة والعلية المشرفة في السطوح وغيرها.

[5]– رواه الإمام مسلم في صحيحه بروايات عديدة، كتاب الصلاة، باب خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنة، وأنها لا تخرج مطيبة، الأحاديث رقم: 134 إلى 140. ورواه النسائي، السنن الكبرى، كتاب المساجد، باب النهي عن منع النساء عن إتيان المساجد 391/1.. وغيرهما.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040, ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 299–350 تاريخ النشر: 2018/12/13

حقها حضور صلاة الجماعة، بل إنه يسر عليها في الأحكام لئلا تخضع للأعذار الواهية فتفرط فيما يحصل لها في ذلك من خير؛ فعن موسى بن عبد الله بن يزيد عن امرأة من بني عبد الأشهل، أنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم: إن بيني وبين المسجد طريقا قذرا، قال: (**فبعدها طريقا أنظف منها؟**) قالت نعم. قال: (**هذه بهذه**)[1]. هذا، وقد تلقف بعض المتشبعين بتقاليد المنع والتضييق على النساء أثرا لعائشة رضي الله عنها فيما روى الإمام مالك في الموطأ عن يحي بن سعيد، عن عمرة بنت عبد الرحمن، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم؛ أنها قالت: "**لو أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما أحدث النساء، لمنعهن المساجد، كما مُنِعَه نساء بني إسرائيل**"[2].

ذكره الإمام مالك تحت عنوان: "ما جاء في خروج النساء إلى المسجد" واستهل ذلك بذكر الحديث الذي ينهى فيه النبي صلى الله عليه وسلم عن منع النساء المساجد، ثم ذكر حديثا عن آداب خروجهن إليها، ثم أورد خبر عمر رضي الله عنه أنه كان لا يمنع زوجته المسجد –رغم غيرته الشديدة– امتثالا لأمر النبي صلى الله عليه وسلم، وختم بالأثر المذكور عن عائشة رضي الله عنها ليبين أن النساء قد أحدثن ما يخالف هذه الآداب. قلت: تلقّى هؤلاء خبر عائشة وكأنه تشريع جديد أضافته إلى الشريعة التي ختمت بوفاة صاحبها ونسخوا به الأحاديث الصحيحة الصريحة التي تمنع أن يحال بين المرأة وبين بيوت

[1]– الحافظ عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي (ت235 هـ)، مصنف ابن أبي شيبة في الأحاديث والآثار، دار الفكر، بيروت، 1409 هـ، 1989م، 75/1. ورواه الطبراني في المعجم الكبير، المرجع السابق، 184/25. ورواه ابن ماجة في سننه، 177/1، وصححه الألباني.

[2]– رواه الإمام مالك في الموطأ، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، أبو ظبي، الإمارات، 1425هـ، 2004م، 277/2، رقم 218.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040, ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 299–350 تاريخ النشر: 2018/12/13

الله، ووقف عندها الصحابة الكرام على الرغم مما تعودوا عليه من الحجر على النساء في الخروج، حتى إن ابن عمر رضي الله عنهما نهر ابنه بلالا وسبّه لما قال: "والله لنمنعهن"[1].

على أن النساء اللواتي سمحت لهن الظروف بالمواظبة على حضور الجمع والجماعات، هن على درجة أعلى في مستوى الأهلية والوعي الحضاري، ومنهن اللواتي كن لا يكتفين بذلك، بل طلبن من النبي صلى الله عليه وسلم أن يخصهن بدروس تمكنهن من الاقتراب منه أكثر والسؤال عما يشكل عليهن. ومن هؤلاء النساء تخرّج كثير من المحدِّثات والفقيهات اللواتي نَهَلْن من معين الهدي النبوي مباشرة، وضربن بسهم وافر في تعليم غيرهن من النساء، بل إن منهن من كان لها تلاميذ من الرجال الذين رووا عنها.

3– في النشاط الدعوي والتعليم

أسهم عدد من الصحابيات في نشر الدين وتعليم النساء اللواتي لم يكن بإمكانهن حضور الصلاة في المسجد وسماع خطب النبي صلى الله عليه وسلم وحديثه مباشرة، وقد كانت أمهات المؤمنين نساء النبي صلى الله عليه وسلم رائدات في ذلك، وكان النساء يزرنهن ليسألنهن عما يتحرجن من سؤال النبي عنه مباشرة.

ولم يقتصر الأمر في تعليم النساء على أحكام الدين وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، بل شمل ذلك أمورا أخرى كالقراءة والكتابة، وتعد الشفاء بنت عبد الله من النساء القلائل اللاتي حظين بقسط من التعليم، فكانت تقرأ وتكتب، وقد علمت عددا من نساء المسلمين منهن: حفصة أم المؤمنين. وكانت تمارس جانبا من الطب واشتهرت بمداواة القروح الجلدية، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يحثها على تعليمه للنساء، من ذلك ما روته

[1]– وردت روايات عديدة للحديث وهو المذكور آنفا عن الإمام مسلم والإمام النسائي وغيرهما، وفي بعضها أنه سبه وفي بعضها أنه لطمه.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040, ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 299–350 تاريخ النشر: 2018/12/13

بنفسها قالت: "دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عند حفصة فقال لي: (**ألا تعلمين هذه رقية النملة**[1] **كما علمتها الكتابة ؟**)"[2]

وقد أسهمت المرأة أيضا في دعم وسائل الدعوة وتحسين ظروفها ليستفيد منها أكبر عدد من الناس، وكن يقدمن الاقتراحات المفيدة، ويساهمن بوسائلهن الخاصة في ذلك؛ من ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخطب على جذع شجرة فأشارت عليه امرأة من الأنصار أن يتخذ منبرا يخطب عليه، فقالت: يا رسول الله، ألا أجعل لك شيئا تقعد عليه فإن لي غلاما نجارا. قال: (**إن شئت**)، فصنعت له المنبر[3].

4– في التكافل الاجتماعي

كان لكثير من النساء المهاجرات والأنصاريات دور كبير في التكافل الاجتماعي ومساعدة المحتاجين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ثم بعد وفاته، ومنهن من كانت تتكفل بالنفقة على زوجها وعلى أبنائه من غيرها، كامرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما. ومنهن من كان يقصدها الفقراء لتسد من حاجاتهم.

ولما فرض عمر الأعطية، كان من بين من فرض له: أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، والنساء المهاجرات، فرض لهن ألفا ألفا، منهن أم عبد، وأسماء، وفي ذلك دلالة على مكانة أولئك النساء في المجتمع المسلم، فلم يكن عمر يفرض لهن لمؤونتهن فحسب؛ إذ

---

[1]– النملة قروح تخرج في الجنبين.

[2]– أخرجه الأئمة: أحمد (6 / 372) وأبو داود (2 / 154) والطحاوي في "شرح معاني الآثار" (2 / 388) والنسائي كما في "الفتاوي الحديثية" للسخاوي (81 / 2) و"نيل الأوطار" للشوكاني (8 / 176). ينظر: محمد ناصر الدين الألباني (ت1420هـ)، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، 1415هـ، 1995م، 341/1.

[3]– الحديث رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب النجار، ومواضع أخرى.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040, ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 299–350 تاريخ النشر: 2018/12/13

كان للكثيرات منهن أزواج ينفقون عليهن، ولكن لما لهن من اليد في الإنفاق على وجوه الخير المختلفة.

وقد وصفت الكثيرات منهن بطول اليد لما عرفت به من الإكثار من الصدقة، منهن: أم المؤمنين زينب بنت جحش، وأم سلمة وغيرهما. وقد ورد من حديث عائشة ما يبهر المرء روعة، ويدعوه إلى الوقوف إجلالا أمام هذا الجيل الذي صنعه النبي صلى الله عليه وسلم في سنوات معدودة: روى هشام بن عروة عن ابن المنكدر عن أم ذرة، وكانت تغشى عائشة، قالت: بعث إليها بمال في غرارتين، قالت أراه ثمانين أو مائة ألف فدعت بطبق، وهي يومئذ صائمة، فجلست تقسم بين الناس، فأمست وما عندها من ذلك درهم. فلما أمست قالت: يا جارية هلمي فطري، فجاءتها بخبز وزيت. فقالت لها أم ذرة: أما استطعت مما قسمت اليوم أن تشتري لنا لحما بدرهم نفطر عليه؟ فقالت: لا تعنفيني لو كنت ذكرتني لفعلت[1].

5– في التجارة والصناعة

حث النبي صلى الله عليه وسلم النساء على الصدقة وبذل المعروف، وقال إن الصدقة تقي صاحبها من النار... ومن جهة أخرى منع النساء من التصدق بأموال أزواجهن بغير إذن منهم، والصدقة تحتاج إلى كسب، والكسب لابد له من العمل والكد، فكأنه حثهن بطريق غير مباشر على العمل والكسب، لذلك وجدنا أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها تعمل بدبغ الجلود وتقوم بالخرز ثم تتصدق به، بل إنها كانت تجهد في ذلك كله من أجل الصدقة. ومن فضائلها، أن النبي صلى الله عليه وسلم جعلها أفضل أزواجه في ذلك؛ فعن عائشة، رضي الله تعالى عنها قالت: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأزواجه: (**أولكن تتبعني أطولكن يدا**)، فكنا إذا اجتمعنا بعد وفاة رسول الله صلى

[1]– أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت 430هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط4، دار الكتاب العربي، بيروت، 1405هـ، 47/2.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040, ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 299–350 تاريخ النشر: 2018/12/13

الله عليه وسلم نمد أيدينا في الحائط نتطاول، فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش، وكانت امرأة قصيرة ولم تكن أطولنا، فعرفت أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد بطول اليد الصدقة. وكانت امرأة صناعا كانت تعمل بيديها وتتصدق به في سبيل الله عز وجل"[1].

وعن عائشة أيضا قالت: "يرحم الله زينب بنت جحش، لقد نالت في هذه الدنيا الشرف الذي لا يبلغه شرف، أن الله عز وجل زوجها نبيه صلى الله عليه وسلم في الدنيا، ونطق به القرآن... وهي زوجته في الجنة..."[2].

وعن جابر بن عبد الله قال: "طلقت خالتي فأرادت أن تجُدّ نخلها، فزجرها رجل أن تخرج فأتت النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: (**بلى، فجدي نخلك فإنك عسى أن تصدقي أو تفعلي معروفا**)[3].

والحديث شاهد على أن المرأة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كانت تعمل خارج بيتها فتذهب إلى البساتين وتعتني بشجرها ونخلها من غير نكير من النبي صلى الله عليه وسلم ولا من غيره[4]. كما نأخذ من هذا الحديث أيضا أن المرأة كلما اعترضتها مشكلة كانت تذهب إلى النبي وتسأله بنفسها ولم تكن تتخذ واسطة بينها وبين العالم الخارجي كما يتصور بعض الذين يريدون عزلها في قواقع لا تغادرها، فها هو النبي صلى الله عليه وسلم يحثها على العمل والاستكثار من الخير، ولم يعتبر خروجها فتنة ولا مظنة إثم، بل

[1]– أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، المرجع السابق، 54/2، ورواه الإمام مسلم مختصرا، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل زينب أم المؤمنين، كما رواه البخاري بلفظ آخر، كتاب الزكاة، باب 11.

[2]– النووي، تهذيب الأسماء، المرجع السابق، 345/2.

[3]– رواه مسلم، كتاب الطلاق، باب جواز خروج المعتدة البائن والمتوفى عنها زوجها في النهار لحاجتها.

[4]– أما نهي الرجل هذه المرأة عن الخروج فلأنها كانت في عدة الطلاق، وقد فهم الآية التي تنهى المطلقة عن الخروج على عمومها وليس كذلك لأن النهي ينصرف إلى المغادرة النهائية للبيت وليس مطلق الخروج.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040, ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 299–350 تاريخ النشر: 2018/12/13

جعله مظنة خير ومعروف. وقد حقق بعض الباحثين في السيرة النبوية أن المرأة في عصر الرسالة كانت تمارس كل أنواع النشاط العام، ومن المهن التي مارستها المرأة؛ الرعي والزراعة والصناعات اليدوية (وعليها كان يدور محور الاقتصاد آنذاك) والإدارة والعلاج والتمريض...[1]. وكانت المرأة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم تبرم العقود عن نفسها، وتتوكل عن غيرها في ذلك. وكانت تمارس كثيرا من النشاطات ذات الصبغة الفنية كزخرفة الحصير ودباغة الجلود والنسيج وغيرها[2].

6– في الجهاد

اعتبر النبي صلى الله عليه وسلم حسن تبعل المرأة لزوجها ضربا من الجهاد في سبيل الله، وذلك أن النساء كن يخلفن أزواجهن في بيوتهم وأولادهم وأموالهم عندما ينفرون في سبيل الله، فلقد كانت المرأة المسلمة مرابطة في القواعد الخلفية للمجاهدين، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم في جوابه على أسماء بنت يزيد وافدة النساء: (**أن حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته تعدل ذلك كله**)[3]. فكان صلى الله عليه وسلم يقدِّر كل مجهود يدعم الدعوة والدولة الإسلامية مهما قلّ في نظر الناس، ومهما خفي عن الأنظار مما قد يغفل عنه الناس، لكنه لو فقد لأحدث فجوة في الحياة ولما استقامت الأمور وحينئذ يعرف فضله وقيمته.

هذا عن عامة النساء، أما الخواص منهن، فقد كن ينفرن مع المجاهدين يدعمن الجيش بالطعام والدواء، ويتعاهدنهم في حوائجهم، وربما قاتلن إن دعت الضرورة إلى ذلك.

---

[1]– عبد الحليم أبو شقة، تحرير المرأة في عصر الرسالة، الجزء الأول: معالم شخصية المرأة المسلمة، ط5، دار القلم، الكويت، 1420هـ، 1999م، 47/1.

[2]– زيدان عبد الباقي، المرأة بين الدين والمجتمع، ط2، دون ناشر، 1981م، ص394.

[3]– من حديث طويل مشهور رواه البيهقي في شعب الإيمان، المرجع السابق، 178/11، رقم 8369. وعزاه السيوطي في جمع الجوامع إلى ابن عساكر.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040, ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 299–350 تاريخ النشر: 2018/12/13

فقد روى الإمام البخاري عن الرُّبيِّع بنت معوِّذ بن عفراء قالت: "كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ نسقي القوم ونخدمهم ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة"[1].

كما روى الإمام مسلم عن أم عطية الأنصارية قالت: "غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات أخلفهم في رحالهم فأصنع لهم الطعام وأداوى الجرحى وأقوم على المرضى"[2].

وكانت لكل من كعيبة بنت سعد الأسلمية، ورفيدة الأنصارية خيمة بالمسجد تداوي فيها الجرحى. وكان ضمرة بن سعيد يحدث، عن جدته، وكانت قد شهدت أحدا؛ تسقي الماء، قالت: "سمعت النبي صلى الله عليه وسلم، يقول: "**لمقام نسيبة بنت كعب اليوم خير من مقام فلان وفلان**" وكان يراها يومئذ تقاتل أشد القتال، وإنها لحاجزة ثوبها على وسطها، حتى جرحت ثلاثة عشر جرحا"[3].

هذه الروايات وغيرها تشهد على مساهمة النساء ومشاركتهن –وخاصة من تجد الفراغ والقدرة على ذلك– في العمل العام، بتشجيع من النبي صلى الله عليه وسلم. والجهاد هو أعلى مراتب العمل العام، ولعل طبيعة القتال في ذلك العصر، التي كانت تتطلب في المقاتل قوة جسدية كبيرة لحمل السلاح ومواجهة الجنود الأشداء عند الالتحام، هي ما جعلت المرأة المسلمة آنذاك تقتصر في مساهمتها على الأعمال الداعمة للمقاتلين من مداواة الجرحى وإعداد الطعام وغير ذلك...

[1]– صحيح البخاري، كتاب الطب، باب هل يداوي الرجل المرأة أو المرأة الرجل، وهو في كتاب الجهاد أيضا.

[2]– صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب النساء الغازيات يرضخ لهن ولا يسهم والنهى عن قتل صبيان أهل الحرب.

[3]– عبد الغني بن عبد الواحد، من مناقب النساء الصحابيات، المرجع السابق، ص59.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040, ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 299–350 تاريخ النشر: 2018/12/13

كان من آثار دعوة النبي صلى الله عليه وسلم ومجهوده في إحياء الناس وهدايتهم بهذا الدين، أن شاع بينهم الحب والإخاء والتآزر والتناصح، والاحترام فيما بينهم، وأصبح أساس التفاضل في المجتمع قائما على معايير جديدة لم يكن للعرب عهد بها، ولم تعرفها غيرهم من الأمم في زمنهم، كان أساس التفاضل هو التقوى والعمل الصالح، لا النسب ولا الجاه ولا المال ولا الجنس ولا غير ذلك من المعايير السفلية التي كانت شائعة قديما، فعُرِف الفضل لأهل الفضل أحرارا أم عبيدا، رجالا ونساء. وعندها، برزت نساء ما كان ليظهر لهن ذكر، ولا ليكون لهن شأن لولا دعوة محمد صلى الله عليه وسلم. وعندما ازدهرت حركة الكتابة والتأليف في مختلف العلوم، امتلأت كتب المؤرخين وأصحاب السير والتراجم بأسماء النساء اللواتي خلدن أسماءهن بما تميزن به عن غيرهن من العلم والعمل والتأثير في المجتمع تعليما وإصلاحا، فذكرت هؤلاء النساء بأسماء صريحة، وبالكنى، بل إن من الرجال من عرف آنذاك باسم زوجته لشهرتها، ولم يكن في ذلك حرج لما تحررت العقول من العقد[1].

ناهيك عن الأعمال الدنيوية والإبداعات الحضارية مما لم يحظ بالعناية في التأريخ والتوثيق، إلا ما ذكر عرضا على سبيل الإشارة العابرة، إذ كان همّ المؤلفين توثيق الحديث النبوي وما يتصل بهذا الغرض من معرفة أحوال الرواة، رجالا ونساء.

المبحث الثالث: نماذج من النساء المتميزات والمبدعات في عهد النبوة

على رأس قائمة النساء اللواتي سجل التاريخ أسماءهن، وأظهرن من ضروب الحكمة والشجاعة والذكاء وأبدعن فيما تيسر لهن من فرص العمل والإنجاز في خدمة الدعوة الإسلامية، ودعم النبي صلى الله عليه وسلم في مهمته العظمى، زوجاته رضي الله عنهن جميعا: خديجة بنت خويلد أم أولاده، وعائشة بنت أبي بكر، وصفية بنت حيي بن أخطب، وميمونة، وزينب بنت جحش، وسودة بنت زمعة، وأم حبيبة بنت أبي سفيان،

[1]– ينظر: النووي، تهذيب الأسماء، المرجع السابق، 304/2. حيث خصص بابا بعنوان: النوع السادس: ما قيل فيه زوج فلانة، وهن أربع نساء: بريرة، وبِرْوع بنت واشق، وسُبيعة الأسلمية، والفُرَيعة بنت مالك.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040, ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 299–350 تاريخ النشر: 2018/12/13

وجويرية، وحفصة بنت عمر، وأم سلمة، وزينب بنت خزيمة... ثم تأتي بقية الصحابيات اللاتي ظهر فضلهن ونقلت إلينا أخبارهن، وهذه بعض النماذج من أعمالهن وسابقتهن في الدين والدنيا:

أولا: نساء كان لهن مقترحات وأوجدن حلولا لبعض المعضلات

– أم سلمة رضي الله عنها أشارت على النبي صلى الله عليه وسلم بالتحلل من إحرامه ليتبعه الصحابة في ذلك بعد أن كانوا أظهروا امتناعهم من الطاعة لما أمرهم بذلك.

وبذلك تعطي لنا أم سلمة رضي الله عنها نموذجا حيا لتقنيات التحكم في الحشود الذي أصبح اليوم يمثل فنّا حديثا رفيع المستوى تستعمله الدول المتقدمة في تحقيق الأهداف السياسية والاجتماعية على الصعيدين الداخلي والخارجي[1].

حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، لما سألها والدها: كم تصبر المرأة على زوجها، فاهتدت إلى الجواب فقالت: أربعة أشهر، واستدلت على ذلك بمدة الإيلاء في القرآن الكريم، وهي لفتة ذكية تؤسس لصناعة علم إنساني يهتدي بالمصدر الأول للمعرفة الإنسانية في الإسلام؛ ألا وهو القرآن الكريم، كما كشفت عن سنة من سنن النفس البشرية، تفنِّد ما يشيع بين الناس من معارف مضللة مفادها؛ أن بإمكان المرأة أن تتحمل الحياة دون زوج، على خلاف الرجل الذي لا يقدر على ذلك، وهو أمر غير دقيق، غذته طبيعة المرأة التي تتسم بالكتمان نتيجة الحياء من التصريح بحاجاتها الخصوصية والنفسية، رغم ما تعانيه من نقص في هذا الجانب بسبب فقدان زوجها... ويؤكد هذا المعنى دعوة القرآن الكريم إلى تزويج الأيامى (رجالا ونساء) من أجل إحصانهم وإعفافهم... ودعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى كفالة الأيتام عن طريق التزوج من الأرامل

[1]– كان موضوع تقنيات إدارة الحشود محورا أساسيا في الملتقى العلمي الثاني عشر لأبحاث الحج الذي عقده معهد خادم الحرمين لأبحاث الحج والعمرة بجامعة أم القرى أيام: 5–7 رجب 1434هـ، بسبب الحوادث الكثيرة التي تحدث أيام الحج.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040, ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 299–350 تاريخ النشر: 2018/12/13

اللواتي لهن أولاد، حتى يحصنهن ويكفل لأولادهن رعاية متوازنة من قبل الزوج الذي أقدم على مثل هذا الزواج رغبة فيما عند الله تعالى من الثواب.

أسماء بنت عميس أشارت على أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه باتخاذ النعش، لما توفيت زينب بنت جحش أم المؤمنين، وكان يطلع إلى شيء يسترها، فأشارت به، وكانت قد رأته في الحبشة لما هاجرت إليها، فعمل به وكانت زينب رضي الله عنها أول امرأة جعل عليها النعش[1]. وقد صنعت أسماء النعش بنفسها، فلما رآه عمر رضي الله عنه قال: "نعم خباء الظعينة"[2]. فأسماء تقرر بمشورتها وبما صنعته قاعدة تطوير الذات والاستفادة من الأمم الأخرى وتجاربها، واتخاذ الوسائل المبتكرة والجديدة لتحقيق المقاصد الشرعية، ما دام الأمر لا يخالف شريعة الإسلام ولا يتعارض مع منهجه في الحياة.

ثانيا: وممن عرف بالمشاركة السياسية وشهود أيام الإسلام الكبرى:

أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية الأوسية من بني الأشهل تكنى أم سلمة، ويقال أم عامر، من أخطب نساء العرب ومن ذوات الشجاعة والإقدام، وكانت ثاني امرأة بايعت الرسول صلى الله عليه وسلم في بيعة العقبة الثانية، وقد لقبت بـ(خطيبة النساء) لنيابتها عنهن في السؤال عن دور المرأة المسلمة في خدمة الإسلام، وحظها من الأجر، حيث لم تكن تقوم بكثير من الأعمال التي يقوم بها الرجال، فأجابها النبي صلى الله عليه وسلم. وقد وفدت أسماء على رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنة الأولى للهجرة فبايعته وسمعت حديثه. وحضرت وقعة اليرموك (سنة 13 هـ) فكانت تسقي المجاهدين وتضمد جراح الجرحى، ولما اشتدت الحرب أخذت عمود خيمتها واندست في الصفوف

[1]– ينظر: النووي، تهذيب الأسماء، المرجع السابق، 346/2.

[2]– أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: 276هـ)، غريب الحديث، تحقيق: عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، 1397هـ، 173/2.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040, ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 299–350 تاريخ النشر: 2018/12/13

فصرعت به تسعة من الروم. وتوفيت بعد ذلك بزمن طويل[1]. وهي من راويات الحديث أيضا، لها في البخاري حديثان، روى عنها مجاهد وغيره[2].

ثالثا: ومن المجاهدات والمهاجرات:

أم حرام بنت ملحان بن خالد بن زيد النجارية الأنصارية صحابية، كانت تخرج مع الغزاة، وتشهد الوقائع. وحضرت فتح قبرص فسقطت عن بغلتها فاندق عنقها فماتت ودفنت في الجزيرة. ولها مقام عظيم بظاهر الجزيرة، ولا زال قبرها إلى الآن في جزيرة قبرص يعرف باسم (قبر المرأة الصالحة)[3].

أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط الأموية: هي أول من هاجر إلى المدينة، بعد معاهدة الحديبية، ولم يثنها عن الهجرة ما أبرم من العهد بين الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا رد رسول الله لأبي جندل عندما هاجر بعد أن أبرم العقد وكتب الكتاب، خرجت ماشية من مكة إلى المدينة، قال ابن سعد: "ولم نعلم قرشية خرجت من بين أبويها مسلمة مهاجرة إلى الله ورسوله إلا أم كلثوم بنت عقبة"[4]، وهي أخت الخليفة عثمان رضي الله عنه لأمه؛ خرجت من مكة وحدها وصاحبت رجلا من خزاعة حتى قدمت المدينة في الهدنة فخرج في أثرها أخواها، فقالا: "يا محمد، شرطنا؛ أَوْفِ به". فقالت أم كلثوم: "يا رسول الله، أنا امرأة وحال النساء إلى الضعف، فأخشى أن يفتنوني في ديني ولا صبر لي". وعندها نزلت الآيات التي تخصص العهد بالرجال دون النساء وتأمر المؤمنين بامتحان المهاجرات،

[1]– ينظر: الزركلي، الأعلام، المرجع السابق، 306/1.

[2]– ينظر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ط3، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1406هـ، 1986م، 289/3 حرف الراء

[3]– ينظر: الزركلي، الأعلام، المرجع السابق، 172/2.

[4]– محمد بن سعد بن منيع البصري، الطبقات الكبرى، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م، 230/8

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040, ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 299–350 تاريخ النشر: 2018/12/13

وحكم في ذلك بحكم رضوا به كلهم. وامتحنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما كان يمتحن به النساء بعدها: "ما أخرجكن إلا حب الله ورسوله والإسلام؟، لا حب زوج ولا مال؟" فإذا قلن ذلك لم يرددن.[1]

رابعا: وممن عرفن بممارسة الطب:

زينب طبيبة بني أود، وكانت ماهرة في طب العيون. ورفيدة صاحبة الخيمة التي كانت في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم تداوي فيها الجرحى[2]. وأم عطية الأنصارية طبيبة جراحة ماهرة. والشفاء بنت عبد الله وكانت طبيبة جلدية مشهورة، وقد أمرها النبي صلى الله عليه وسلم أن تعلم حفصة (رقية النملة) وهي وصفة لعلاج بعض أمراض الجلد. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يزورها، ويقيل عندها وأقطعها دارا بالمدينة. وكان عمر يقدمها في الرأي ويرعاها ويفضلها، وربما ولاها شيئا من أمر السوق[3]. وأسرة آل زهر، التي عُرف نساؤها وبناتها بالعمل والتفوق في مجال الطب.

خامسا: من الراويات للحديث:

بسرة بنت صفوان؛ روت حديث الوضوء من مس الذكر، وقد أخذ الإمام الشافعي بحديثها ووثق به لسابقتها وقدم هجرتها[4].

الفُرَيعة بنت مالك بن سنان الأنصارية أخت أبي سعيد الخدري صحابية لها حديث قضى به عثمان رضي الله عنه، ويقال لها الفارعة[5].

---

[1]– العسقلاني، الإصابة، المرجع السابق، 291/8.

[2]– ينظر: العسقلاني، تقريب التهذيب، المرجع السابق، 640/2.

[3]– ينظر: الزركلي، الأعلام، المرجع السابق، والمراجع المشار إليها هناك، 168/3

[4]– ينظر: العسقلاني، لسان الميزان، المرجع السابق، 12/2.

[5]– ينظر: العسقلاني، تقريب التهذيب، المرجع السابق، 655/2.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040, ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 299–350 تاريخ النشر: 2018/12/13

هُجمية أم الدّرداء الصُغرى الحِميَرية، روت عن زوجها أبي الدرداءِ، وقرأت عليه القرآن وروت عن سلمان الفارسي وكعب بن عاصم الأشعري وعائشة وأبي هريرة، وكانت عالمةً زاهدةً كبيرةَ القدر، وكان لها حُرمةٌ وجلالة عجيبة، وروى لها الجماعة[1]، ومن فضائلها أنها لم تكن فقط من رواة الحديث، بل تميزت بالزهد والفقه، وقد خطبت زوجها من نفسه قبل وفاته لتكون زوجته في الآخرة، فقال لها: لا تنكحي بعدي، فأقامت على عهده ولم تقبل بالزواج بعده، وممن خطبها، معاوية بن أبي سفيان، ولكنها أبت وقالت لا أقبل عن أبي الدرداء بديلا[2].

وكانت لها مجالس علمية يحضرها طلبة العلم، وكانت ترى في مجالسة العلماء أفضل عبادة وأشفاها لنفسها، وكانت تقول: "أفضل العلم المعرفة". ولها تلاميذ يداومون مجالستها منهم: عوف بن عبد الله، وعبد ربه بن سليمان بن عمر، وميمون (لعله ابن مهران) وكانت تكتب إليهم. ولها أسفار معهم، حتى إنه روي أنها طردت رجلا من موكبها لما سألته ما بالك لا تقرأ القرآن كأصحابك؟ فقال لها: ليس معي من القرآن إلا سورة واحدة قد رددتها حتى أدبرتها، فقالت: "وإن القرآن ليدبر؟ ما أنا بالتي أصحبك؛ إن شئت أن تقوم، وإن شئت تتأخر"[3]. وبعض الرجال عرفوا بأسماء زوجاتهم، عند التحديث والرواية، وقد خصص لهم النووي في تهذيب الأسماء عنوانا منفردا فقال: (النوع السادس: ما قيل فيه زوج فلانة)، وفي الفصل الرابع ذكر بعض من عرف بأمه ومن عرف بأخته... [4]

[1]– ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، المرجع السابق، 196/27. وأمّ الدرداء الكبرى خَيرَةُ بنتُ أبي حَدردٍ صحابيَّة، هي زوجة أبي الدرداء أيضا صحابية ماتت قبل أن يتزوج الصغرى.

[2]– ينظر: النووي، تهذيب الأسماء، المرجع السابق، 360/2

[3]– ينظر: النووي، تهذيب الأسماء، المرجع السابق، 361/2

[4]– النووي، تهذيب الأسماء، المرجع السابق، 304/2.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040, ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 299–350 تاريخ النشر: 2018/12/13

سادسا: من النساء الأديبات اشتهرن بالفصاحة وقول الشعر:

أروى بنت الحارث بن عبد المطلب القرشية من الصحابيات اللاتي اشتهرن بالفصاحة، عاشت إلى زمن معاوية بن أبي سفيان، وكان مقامها بالمدينة، فوفدت عليه إلى دمشق وهي عجوز، فعاقبته على خصومته لعلي بن أبي طالب (ابن عمها) وفاخرته ببني هاشم وفضلتهم على بني أمية، فاعترضها عمرو بن العاص فعيرته بنسبه، وتكلم مروان فأفحمته، فاعتذر لها معاوية عنهما وسألها عن حاجتها فقالت: مالي إليك حاجة ! وقامت فخرجت، فقال معاوية لأصحابه: والله لو كلمها من في مجلسي جميعا لأجابت كل واحد بغير ما تجيب به الآخر! وإن نساء بني هاشم لأفصح من رجال غيرهم[1]. وقد ذكرها الضبي في "أخبار الوافدات على معاوية"، وجاء فيه أنها طلبت منه ألفي درهم وألفي درهم وألفي درهم، لكل منها وجه تصرفها فيه، ثم قالت شعرا في رثاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه منه: أَلا يَا عين وَيحك أسعدينا ..... أَلا وابكي أَمِير المؤمنينا

رزينا خير من ركب المطايا... وفارسها وَمن ركب السفينا[2]

الخاتمة

برغم الفروق التي يمكن ملاحظتها بين الرجال والنساء، فإنهم يشتركون في طبيعتهم الإنسانية، وهذه الطبيعة مرنة قابلة للتشكيل حسب منهج التربية والتعليم التي يتلقاهما الفرد في المجتمع، وبحسب عبقرية هذه التربية يمكن أن يستخرج المربي والمعلم الطاقات الكامنة في الفرد ذكرا كان أم أنثى، ويدفعها إلى السطح لتظهر في سلوك مبدع يتبلور في إنتاج إبداعي، ثم يتكاتف هذا الإنتاج الفردي ليفرز إنتاجا أكبر هو إنتاج المجتمع، وهذا ما قام به النبي

[1]– ينظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، المرجع السابق، 290/1.

[2]– ينظر: العباس بن بكار (أو ابن الوليد بن بكار) الضبي (المتوفى: 222هـ)، أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان، تحقيق: سينة الشهابي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1403هـ، 1983م، ص50–51.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040, ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 299–350 تاريخ النشر: 2018/12/13

صلى الله عليه وسلم. والتعليم هو الذي يشكل ذهنية المجتمع وينميها ويوسع آفاقها، ويضع الملامح التي سوف تنطبع بها عبر الأجيال المتعاقبة شخصية الأمة. وما تعانيه شخصيتنا العربية والإسلامية من انطباع بحال التوقف والجمود، إنما دعمتهما مؤسستنا التربوية والتعليمية التي تجاهلنا فيها حقيقة التوجيه النبوي ومنهجه في تحرير الطاقات الإبداعية للفرد عموما، وللمرأة خصوصا[1]، بوصفها صانعة الأجيال وعلى عاتقها تقع مسؤولية تكميلها.

إن وصية النبي صلى الله عليه وسلم بتبليغ سنته للأجيال كقوله: (**ليبلغ الشاهد الغائب فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه**)[2]، لتحمل إشارة واضحة على ضرورة الوعي بسنته ومنهجه وإدراك مقاصده لا الوقوف على ظاهر أقواله، فرب مبلَّغ أوعى من سامع، وقد يكون هذا السامع ممن يقصر عقله وإدراكه عن فهم مراد النبي صلى الله عليه وسلم لسبب من الأسباب، الذاتية فيه شخصيا، أو لأن الظروف لم تسمح بعد بالوعي الصحيح بمغزى كلام النبي صلى الله عليه وسلم. كما فيه إشارة أخرى أكثر وضوحا، وهي ضرورة التزام منهجه وعيا واستيعابا من خلال الفهم الصحيح لهذه السنة الشريفة، وإدراك مقاصد السنة النبوية في التعامل مع المرأة. فلا ينبغي الجمود على ما تصوره الناس في عصور أخرى وفهموه من السنة، حتى لو كانوا من العلماء، وإنما لابد من استيعاب المنهج وإدراك المقاصد وتفعيلها في العصر الذي نعيش فيه.

ورغم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان من بيئة مكة التي اتصف رجالها بالشدة على النساء، فلم تكن المرأة تشارك في رأي ولا مشورة، على خلاف الأنصار، إلا أن خلقه مع النساء كان يميل إلى خلق الأنصار، فكان يرفق بهن ويأمر به أصحابه، ولم يكن يرى

[1]– ينظر ويقارن: احميدة النيفر، القيم التربوية وبناء الشخصية الإسلامية المعاصرة، المرجع السابق، ص109.

[2]– صحيح البخاري، كتاب العلم، باب قول النبي صلى الله عليه و سلم (رب مبلغ أوعى من سامع).

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040, ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 299–350 تاريخ النشر: 2018/12/13

حرجا في أن تناقشه زوجاته ولا في أن تشير عليه امرأة برأي، بل شجع النساء على ذلك وكان يأخذ بالرأي الصائب منهن.

وفتح صلى الله عليه وسلم المجال للمرأة للمشاركة في كل أنواع النشاط العام الذي كان يقوم به مع أصحابه، ولم يكن يمنع المرأة إذا وجدت في نفسها القدرة على العطاء، حتى في أصعب المهام وهو الجهاد في سبيل الله، فأورث هذا الصنيع عدة أجيال من النساء المبدعات في كثير من المجالات، ولما تراجعت المجتمعات الإسلامية إلى الوراء، ولزِمت هامش التاريخ، كانت النساء أول ضحايا هذا الانحدار. فليكن لنا في رسول الله أسوة حسنة، وليكن هدفنا ترقية الإنسان ليترقى به المجتمع، ولعل المدخل الأول إلى ذلك هو العمل على ترقية المرأة، ولا شك أن إهمالها لن يكون في صالحنا، والله المستعان.

المصادر والمراجع:

1- ابن أبي شيبة الحافظ عبد الله بن محمد العبسي الكوفي (ت235 هـ)، مصنف ابن أبي شيبة في الأحاديث والآثار، دار الفكر، بيروت، 1409 هـ، 1989م

2- ابن الأثير علي بن أبي الكرم الشيباني الجزري، عز الدين (ت630هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، 1415هـ، 1994م.

3- ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (510–597هـ)، كتاب الموضوعات، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، 1386هـ، 1966م

ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني (ت852هـ):

– تقريب التهذيب، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415 هـ، 1995م.

– الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، 1412هـ.

– لسان الميزان، ط3، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1406هـ، 1986م.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040, ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 299–350 تاريخ النشر: 2018/12/13

4- ابن حزم علي الأندلسي (ت 456هـ)، المحلى بالآثار، دار الفكر، بيروت، دت.

5- ابن سعد محمد بن سعد بن منيع البصري، الطبقات الكبرى، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م.

6- ابن ماجة محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، دت.

7- ابن مفلح محمد شمس الدين (ت 763هـ)، الآداب الشرعية والمنح المرعية، عالم الكتب، دت.

8- أبو شقة عبد الحليم، تحرير المرأة في عصر الرسالة، الجزء الأول: معالم شخصية المرأة المسلمة، ط5، دار القلم، الكويت، 1420هـ، 1999م.

9- أحمد أبو عبد الله بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت241هـ) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، 1421هـ، 2001م.

10- الأصبهاني أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت 430هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط4، دار الكتاب العربي، بيروت، 1405هـ.

11- الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد (ت 502هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، 1412هـ.

12- البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق وتعليق: مصطفى ديب البغا، ط3، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، 1407هـ، 1987م.

13- برغوث الطيب، التغيير الإسلامي خصائصه وضوابطه، مكتبة رحاب، الجزائر، دت.

14- بورقيبة داود بن عيسى، منهج القرآن في التربية، آيات الأحكام نموذجا، رسالة دكتوراه مطبوعة، المطبعة العربية، غرداية، 1430هـ، 2009م.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040, ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 299–350 تاريخ النشر: 2018/12/13

15- البيهقي أحمد بن الحسين بن علي (ت458هـ)، شعب الإيمان، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد، الرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، 1423هـ، 2003م.

16- التبريزي محمد بن عبد الله الخطيب، مشكاة المصابيح، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط3، المكتب الإسلامي، بيروت، 1405هـ، 1985م.

17- الترمذي محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى (ت 279هـ):

– سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5)، شركة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط2، 1395هـ، 1975م

– الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية، تحقيق: سيد بن عباس الجليمي، المكتبة التجارية، مصطفى أحمد الباز– مكة المكرمة، 1413هـ، 1993م.

18- الدارمي محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي أبو حاتم البُستي (ت 354هـ)، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت 739هـ)، تحقيق وتخريج وتعليق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1408هـ، 1988م.

19- الزركلي خير الدين، الأعلام، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1980م.

20- زيادة أسماء محمد أحمد، دور المرأة السياسي في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين، دار السلام، القاهرة، 1421هـ، 2001م

21- سابق السيد، فقه السنة، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1397هـ، 1977م.

22- السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، جمع الجوامع أو الجامع الكبير، كتاب إلكتروني من موقع ملتقى أهل الحديث.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040, ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 299–350 تاريخ النشر: 2018/12/13

23- الشواربي عبد الحميد، الحقوق السياسية للمرأة في الإسلام مع المقارنة بالأنظمة الدستورية الحديثة، منشاة المعارف، الإسكندرية، دت.

24- الصالحي محمد بن يوسف الشامي (ت942هـ)، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1414هـ، 1993م

25- الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك (ت764هـ)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 1420هـ، 2000م.

26- ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي (ت 643هـ)، صفة النبي صلى الله عليه وسلم وأجزاء حديثية أخرى، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دار ابن حزم، بيروت، 2004 م.

27- الطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير أبو القاسم (ت360هـ)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط2، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، دت.

28- عبد الباقي زيدان، المرأة بين الدين والمجتمع، ط2، دون ناشر، 1981م.

29- عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي تقي الدين (ت600هـ)، من مناقب النساء الصحابيات، تحقيق: إبراهيم صالح الناشر: دار البشائر، 1994 م

30- عزت هبة رؤوف، المرأة والعمل السياسي رؤية إسلامية، دار المعرفة، الجزائر، 2001.

31- عياض بن موسى بن عياض بن عمرون أبو الفضل اليحصبي القاضي 544هـ، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الفكر، بيروت، 1409هـ، 1988 م.

32- القرطبي محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1384هـ، 1964م.

33- كديور جميلة، المرأة —رؤية من وراء جدر– ترجمة سرمد الطائي، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، 1422هـ، 2001م.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040, ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 299–350 تاريخ النشر: 2018/12/13

34- الكفوي أبو البقاء أيوب بن موسى ت1094هـ، الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، دت.

35- مالك بن أنس الأصبحي، الموطأ، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، أبو ظبي، الإمارات، 1425هـ، 2004م

36- المزي يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج ، تهذيب الكمال، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1400هـ، 1980م.

37- مسلم أبو الحسين بن الحجاج بن مسلم، الجامع الصحيح، دار الجيل، بيروت، دار الأفاق الجديدة، بيروت.

38- النسائي أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، (ت303هـ)، السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1421هـ، 2001 م.

39- النووي محيي الدين بن شرف، تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية، بيروت، دت.

40- النيفر احميدة، القيم التربوية وبناء الشخصية الإسلامية المعاصرة، بحث مقدم في المؤتمر العالمي الرابع للفكر الإسلامي، المنعقد بالخرطوم 1407هـ، 1987م، نشر تحت عنوان: المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية، الجزء الثالث بعنوان: منهجية العلوم التربوية والنفسية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن فرجينيا، 1412هـ، 1992م،

41- الهيثمي الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر (ت 807هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الفكر، بيروت، 1412هـ، 1992م.

42- يعقوبي فاتح، النشاط الرياضي الترويحي وعلاقته بتنمية بعض القدرات الإبداعية لدى أطفال الروضة، دراسة ميدانية بمراكز رياض الأطفال بمدينة المسيلة، رسالة ماجستير، المركز الجامعي سوق اهراس، 2006–2007م.